التَّعْرِيفُ

بِالدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ النَّجْدِيَّةِ

مشروع طباعة الكتب السلفية

مشروع طباعة الكتب السلفية (٧٠)

التعريف
بالدعوة السلفية النجدية

تأليف

فيصل بن قزار الجاسم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن من نعم الله ﷻ على الأمة الإسلامية ورحمته بها أن قيّض لها في القرن الثاني عشر أحد عظماء المجددين، ليُجدِّد لها دينها، ويحيي سنَّة نبيها ﷺ، في وقت أحوج ما كانت الأمة إليه؛ لبعد أكثر الناس عن الحقّ خاصتهم وعامتهم، عالمهم وجاهلهم، وجهلهم بأصل الدين الذي بعث الله به الرسل، وأنزل لأجله الكتب، وهذا المجدِّد هو الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فدعا إلى التوحيد الخالص والسنّة المحضة، حتى انتشرت بدعوته أعلام التوحيد والسنّة، وتأسست بدعوته دولة من دول الإسلام العظيمة، حملت مبادئه الإصلاحية، وسَعت على نشرها في الآفاق، حتى عمّ الخير بدعوته الجزيرة وما وراءها، وقام المصلحون المتأثرون بدعوته في كل بلد من البلاد، وقطر من الأقطار بالدعوة إلى ما دعا إليه من تجريد التوحيد لله تعالى، والمتابعة للنبي ﷺ، ناهلين من علمه،

ومستضيئين ببركة دعوته.

ولم يـزل علـماء أهل السـنّة والجماعـة في وقتـه وإلى يومنا هـذا يذكرونه بالجميـل، ويثنـون عـلى دعوتـه الإصلاحيـة العظيمـة، ويشـكرون لـه جهـوده العظيمـة، ويعرفـون لـه قـدره وفضلـه، ويذبّـون عنـه.

ولقـد عانـت الدعـوة كثـيراً مـن أعـداء اللـه مكـراً وكيـداً وتشـويهاً وافـتراءاً ومحاربـةً، فـأبى اللـه إلا أن يُتـم نـوره، فجعـل اللـه سـعيهم بـوراً، وجهدهـم مثبـوراً.

ولم يكـن ذلـك الكيـد والمكـر والمحاربـة والتشـويه الـذي مـورس عـلى الدعـوة الإصلاحيـة مسـتغرباً مـن أولئـك القـوم، إذ لم تـزل سـنّة اللـه تعـالى أن يكـون لدعـاة الحـقِّ وأتبـاع الرسـل أعـداءٌ لا يألـون جهـداً في الصـدّ عـن سـبيل اللـه.

ونحـن اليـوم، وعـلى وجـه متكـرر، أصبحنـا نسـمع أناسـاً ينقـدون دعـوة الإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب الإصلاحيـة؛ إمـا في وسـائل الإعـلام، أو عـبر وسـائل التواصـل الاجتماعـي، وربمـا كتبـوا بعـض المقـالات.

ولا أجـد لذلـك سـبباً إلا الجهـل؛ إمـا بالدعـوة وتاريخهـا، أو بمذهـب أهـل السـنّة والجماعـة.

ومنشـأ هـذا النَّفَـس الجديـد: تصـدّر أنـاس للدعـوة والتعليـم ممـن لم يتأصلـوا في العلـم، ولم يُعرفـوا بالأخـذ عـن العلـماء وملازمتهـم

ومشاورتهم، وقد يغتر بعضهم بحصوله على درجة علمية أكاديمية، فيظن نفسه عالماً.

قال الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ: (فالعجب كل العجب ممن يُصغي ويأخذ بأقوال أناس ليسوا بعلماء ولا قرأوا على أحدٍ من المشايخ فيُحسنون الظنّ بهم فيما يقولونه وينقلونه، ويُسيئون الظنّ بمشايخ أهل الإسلام وعلمائهم الذين هم أعلم منهم بكلام أهل العلم، وليس لهم غرضٌ في الناس إلا هدايتهم وإرشادهم إلى الحق الذي عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

وأما هؤلاء المتعالمون الجهال فكثير منهم - خصوصاً من لم يتخرّج على العلماء منهم- وإن دعوا الناس إلى الحق فإنما يدعون إلى أنفسهم، ليصرفوا وجوه الناس إليهم؛ طلباً للجاه والشرف والترؤّس على الناس)[1].

فرأيت من المناسب، بل المتعيّن، كتابة رسالة موجزة في التعريف بالدعوة وتاريخها، وذكر شيء من خصائصها، والتعريف بأئمتها، مع الإشارة إلى أشهر رسائلهم ومؤلفاتهم، والتنويه بذكر بعض خصوم الدعوة، وجهودهم في الصدّ عن سبيل.

وقد قسمتها إلى مقدمة تمهيدية وخمسة فصول، آثرت فيها الاختصار، والإشارة إلى المهم، ليسهل على الناس وطلبة العلم قراءتها.

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» ص٢٤

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع بهذه الرسالة كاتبها وقارئها وناشرها.

والله أعلم، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فيصل بن قزار الجاسم

وكتبه /

الكويت العارضية

١٤ شعبان ١٤٣٦ هـ - ١ يونيو ٢٠١٥م

مقدمة تمهيدية

أهمية كتب أئمة الدعوة النجدية

إن الدعوة السلفية النجدية التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب من أعظم الدعوات التي بيّنت أصل الدين وهو التوحيد، ودعت إليه، ونشرته في مشارق الأرض ومغاربها، وقد خلَّفت وراءها تراثاً علمياً ضخماً يحوي كتباً ورسائل علمية نافعة.

ومما ميّز هذه الدعوة المباركة أنها أقامت دولة من دول الإسلام العظيمة؛ وهي الدولة السعودية، وهو مما تفردت به هذه الدعوة إذا ما قورنت بدعوات كثير من المصلحين والمجددين التي قامت عبر التاريخ.

فإن أكثر الدعوات الإصلاحية التي قامت في التاريخ لم تثمر قيام دولة تنصر مبادئها، وتقوم على أصولها، فدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومن تأثر بها، مع كونها كانت دعوة عظيمة نافعة مباركة، وكان لها أثر كبير على واقع المسلمين لا سيما أهل العلم وطلبته؛ لكن لم يتحقق بها ما حققته دعوة الإمام محمد بن

عبد الوهاب ﷺ في واقع المسلمين؛ فإن دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب كانت أوسع وأكثر انتشاراً من دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية، والسبب في ذلك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ قد قيّض الله له من ينصر دعوته من الأمراء، فاجتمع في دعوته الأمران: الكتاب الهادي، والسيف الناصر، ولا يقوم الدين إلا بهذين.

قال ابن تيمية ﷺ: (قوام الدين بكتاب يهدي، وسيف ينصر ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[1]).

فتزامنت دعوته مع قيام دولة عظيمة من دول التوحيد التي سخرها الله ﷻ في هذه الأزمنة لتنشر التوحيد، وتحيي السنّة، وتجدد الملة، وهذا من فضل الله ﷻ ونعمته على الناس، فكان لدعوته أثرٌ كبير على بلاد المسلمين أفراداً ومجتمعات، حتى قامت دولٌ في أماكن عدة على مبادئ دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﷺ في أفريقيا وغيرها.

وقد خلّفت الدعوة النجدية تراثاً علمياً عظيماً حوى كتباً ورسائل متنوعة في تقرير أصل الدين: توحيد الله وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وبيانه، وتوضيح معانيه، حتى أَجْلته وأظهرته وأوضحته بما لا مزيد عليه، فتكلمت عن فرائضه وأركانه وشروطه ونواقضه، كما أنها كشفت الشبهات التي يُشغِّب بها أهل البدع وأصناف المشركين والمخالفين وغيرهم، ويثيرونها حول أصل الدين وحقيقته، لكثرة خصومها في ذلك الزمان، فإن أساس الخصومة كان

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٠)

دائـراً حـول أصـل الديـن: توحيـد اللـه ﷻ وإفـراده بالعبادة.

فجاءت هذه الكتب والرسـائل محررة متقنة، قد أُشـبعت دليلاً وبحثًا ومناقشـةً، حتى صارت عمـدة في هذا البـاب، وغدت من أحسـن الكتب التي أُلفت في بيـان حقيقة التوحيـد، وأجمعها في كشف شبهات أهل البدع والمشركين من إخوان الشياطين.

شيخ الإسلام ابن تيمية كان مجددًا عظيمًا لا سيما في مسائل الأسماء والصفات

وشـيخ الإسـلام ابن تيمية ﵀ كان مجددًا عظيمًا لا سيما في مسائل الأسماء والصفات وغيرها من مسائل الاعتقاد؛ فقد تكلم فيها بما يشفي، وردّ على كثير من أهل البدع الذين انتشرت مقالاتهم في وقته وقبل وقته، فبيّن مذهب السـلف -رحمهم الله تعالى- وكشـفه وأظهره وشرحه، حتى صارت كتبه ورسـائله عمـدة لمن أتى بعده، وصارت اختياراته وتقريراته مرضية عند أهـل العلم والتحقيق، فإنه كان إمامًا في هذا الباب؛ شهد له الموافق والمخالف، لكثرة اطلاعه ومعرفته بمذهب السلف وأقوال الأئمة الماضين، مع ما رزقه الله ﷻ من الفهم.

ومن هنـا احتاج طالب العلم إلى أن يقرأ كتب شـيخ الإسـلام ابن تيمية ﵀؛ ليقوِّي فهمه في مسـائل الأسماء والصفات والإيمان والقدر، بل ومسـائل الفقه والأصول والحديـث واللغة، حتى قال الشيخ العلامة محمد بن سليمان الجراح علامة الكويت ﵀:

(أعتقد من لم يقرأ في هذا الزمان شـيئاً من مؤلفات الشـيخين - يعني: ابن تيمية وابن القيم- مهما بلغ مـن العلم لا يخلو من بدع

وخرافات يعتقدها ديناً، والدين بريء منها إلا من شاء الله)[1].

ولا ريب أن العمدة في الاحتجاج هو الكتاب والسُّنة وأقوال سلف الأمة من الصحابة، إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ كان له قدم صدق في بيان دلالاتها ومعانيها، وله جهود مشكورة في إبراز مذاهب السلف الماضين من الصحابة والتابعين، وردّ شبهات أهل البدع من المتكلمين والفلاسفة والصوفيين، والكفار من اليهود والنصارى والملاحدة، وإبطال تحريفاتهم، فألف الكتب الطوال، ككتاب «**منهاج السُّنَّة في الردِّ على الشيعة والقدرية**»، وكتاب «**درء تعارض النقل والعقل**»، وكتاب «**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**»، وكتاب «**التسعينية**» في مسألة صفة الكلام، وغيرها من الكتب الكثيرة المتنوعة في بيان مذهب أهل السنّة والجماعة، لا سيما مسائل الأسماء والصفات والإيمان والقدر ونحو ذلك.

من هذا المنطلق أيضاً تكمن أهمية قراءة كتب أئمة الدعوة النجدية ورسائلهم، فإنه لما كانت خصومتهم مع المخالفين دائرة حول تحقيق أصل الدين: توحيد الله ﷻ - وقد عورضت دعوتهم بكثير من الشبهات، وأُلفت ضدهم كثير من الرسائل للصدّ عن دعوة التوحيد - جاءت كتبهم موضحة لأصل الدين أتم توضيح، وشارحة له أتم شرح.

(١) رسالة كتبها للشيخ عبد الله بن حميد، «علامة الكويت وفقيهها وفرضيها الشيخ محمد بن سليمان آل جراح سيرته ومراسلاته وآثاره العلمية» ص١٩٩

ولا أُبالغ إن قلت: إذا لم يقرأ طالب العلم رسائل أئمة الدعوة، ويتأمل فيها، ويتوسع في ذلك، فقد يقصر فهمه عن تصور بعض المسائل المتعلقة بالتوحيد وحقوقه ولوازمه ونواقضه، لا سيما دقائق المسائل، ويفوته من معرفة التوحيد ودلائله وكشف ما يضاده ما يفوت من لم يقرأ كتب ابن تيمية ﵀ في مسائل الأسماء والصفات، فنحن نحتاج إلى أن نقرأ هذه الكتب العظيمة التي أوضحت أصل الدين، وندرسها دراسة وافية.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز ﵀: (ومن هؤلاء الأئمة المبرزين: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀ وأنصاره في القرن الثاني عشر وما بعده، قد برزوا في هذا الميدان، وكتبوا الكتابات العظيمة الناجحة، وأرسلوا الرسائل إلى الناس وردوا على الخصوم، وأوضحوا الحق في رسائلهم ومؤلفاتهم بأدلته من الكتاب والسنّة، وقد جمع من ذلك العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ﵀ جملة كثيرة في كتابه المسمى«**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**»، والأدلة التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ وتلاميذه، من تأملها وتبصّر فيها، رأى فيها الحق المبين، والحجج الباهرة، والبراهين الساطعة التي توضح بطلان أقوال الخصوم، وشبهاتهم، وتبين الحق بأدلته الواضحة.

وهم رحمة الله عليهم، مع تأخر زمانهم، قد وُفِّقوا في إظهار الحق، وبيان أدلته، وأوضحوا ما يتعلق بدعوة التوحيد، والرد على

دعاة الوثنية، وعبـــاد القبور، وبـــرزوا في هذا الســـبيل، وكانوا على النهج المســـتقيم، نهج الســـلف الصالح، واســـتعانوا في هذا الباب بالأدلة الواضحـــة التي جاءت في الكتاب والســـنة النبويـــة، وعُنوا بكتب الحديث وكتب التفســـير، وبرزوا في هذا الميدان حتى أظهر الله بهم الحـــق، وأذل بهم الباطل، وأقام بهـــم الحجة على غيرهم، ونشر بهم راية الإسلام، وقامت راية الجهاد، وأجرى الله على أيديهم من نعمه وخيره الجزيل ما لا يحصى، وأصبح أهل الحق في ســـائر الأمصـــار الذين عرفوا كتبهـــم، وصحة دعوتهم، وســـلامة منهجهم ينشرون دعوتهم، ويســـتعينون بما ألفوا في هذا الشـــأن على خصوم الإســـلام، وأعداء الإســـلام في كل مكان، من أهل الـــشرك والبدع والخرافات.)[1].

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز» (٧٧/٤)

مطلب

القراءة في كتب أئمة الدعوة السلفية النجدية تحتاج إلى أمور أربعة

إذا عرفنا أهمية قراءة كتب أئمة الدعوة النجدية ورسائلهم لفهم التوحيد فهماً جيداً فإن قارئها يحتاج إلى الإلمام بأربعة أمور:

الأمر الأول: معرفة تاريخ الدعوة والأحداث التي جرت في وقتها

فإن كثيراً من الرسائل أُلّفت في زمن معين وفق حدث معين، وقد يكون المقصود من الكلام أمرًا معينًا لا حكمًا عاماً، ومن لم يعرف تاريخ الدعوة فقد يسيء فهم كلامهم، ويحمله على خلاف مرادهم، وهذا قد حصل قديماً ولا يزال يحصل إلى وقتنا هذا، ومن ذلك استناد بعض الغلاة من أفراخ الخوارج في تكفير المسلمين بالذنوب، واستباحة دمائهم عن طريق القتل والتفجير ونحو ذلك على بعض كلام أئمة الدعوة، وأئمة الدعوة بريئون من أفعالهم، وإنما أُتي هؤلاء من قبل أفهامهم، وبسبب جهلهم بمواقع الكلام.

وهذا أمرٌ يتكرر وقوعه، فقد جرى مثله في وقت أئمة الدعوة أنفسهم.

وقد قال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله رداً على بعض هؤلاء: (وقد بلغنا أن الذي أشكل عليكم أن مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم بمصالحة ونحوها، وقدومهم

عـلى ولي الأمـر لأجـل ذلـك، أنهـا هـي مـوالاة المشركـين المنهـي عنهـا في الآيـات والأحاديـث، وربمـا فهمتـم ذلـك مـن «**الدلائل**» التـي صنـف الشـيخ سـليمان بـن عبـد اللـه بـن الشـيخ، ومـن «**سبيل النجاة**» للشـيخ حمـد بـن عتيـق.

فـأولاً: نبين لكم سـبب تصنيف «**الدلائل**»، فإن الشـيخ سـليمان صنفهـا لمـا هجمـت العسـاكر التركية عـلى نجـد في وقتـه، وأرادوا اجتثـاث الديـن مـن أصلـه، وسـاعدهم جماعة مـن أهل نجـد، من البادية والحـاضرة، وأحبـوا ظهورهم.

وكذلك: سبب تصنيف الشـيخ حمد بن عتيق «**سبيل النجاة**» هو لما هجمت العسـاكر التركية على بلاد المسـلمين، وساعدهم من ساعدهم، حتى استولوا على كثير من بلاد نجد.

فمعرفة سـبب التصنيف مما يعين على فهـم كلام العلماء، فإنه بحمد الله ظاهر المعنى؛ فإن المراد بـه موافقة الكفار على كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم على المسـلمين، وتحسـين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم)[1].

وهذه قضية مهمة، فإذا أراد طالب العلـم أن يقرأ في كتب أئمة الدعوة النجدية، لا سـيما المجاميع الكبيرة التي تحـوي كثيراً من رسـائلهم، كـ «**مجموعة المسائل النجدية**» و«**الدرر السنية**» ونحوهما فلابد أن يكـون عنده إلمـامٌ بتاريـخ الدعـوة، ومعرفـةٌ بالوقائع

(١) الدرر السنية (٩/١٥٧-١٥٨)

والأحداث التي جرت في وقت كتابة تلك الرسائل حتى يضع الكلام في مواضعه، ويفهمه على مراده.

فالإلمام بتاريخ الدعـــوة والوقائع التي جـــرت في وقتها يُمكّن طالب العلم مـــن النظر في كلام أئمـــة الدعوة مجموعـــاً لا مُجتزأً، ويمكّنه من حمل ما أشـــكل في بعض كلامهـــم في خصوص بعض الوقائع على ما قرروه من الأصول والقواعد والضوابط.

الأمر الثاني: معرفة تراجم أئمة الدعوة

بدءًا من الإمام محمد بن عبد الوهاب وانتهاءً بعلمائهم في هذا العصر، ومعرفة مراتبهم ومنازلهم، لأن هذه الأســـماء تتكرر كثيرًا في كتب أئمة الدعوة.

الأمر الثالث: معرفة خصوم الدعوة

فإن كثيرًا من أســـمائهم مذكورة في كثير مـــن الكتب، بل هناك كتب مؤلفة في الردّ على أناس معينين، فمعرفة أســـماء الذين ناصبوا الدعوة العداء، وكان لهم دور كبير في الصدّ عن ســـبيل الله، معينٌ على فهم كلام أئمة الدعوة.

كما أن لبعضهم كتبـــاً ورســـائل ومؤلفات، وقـــد تقلّد بعضهم مناصـــب شرعيـــة، فربما قرأ الإنســـان بعـــض كتبهم فتأثـــر ببعض انحرافاتهم، وصدّق بعض افتراءاتهم.

فكان من المهم معرفة أشخاصهم وعقائدهم وأصولهم، ومعرفة موقفهم من الدعوة.

الأمر الرابع: الإلمام بكتب أئمة الدعوة

أســـمائها، ومواضيعها، ومؤلفيها، ومعرفـــة مناهجهم، وتواريخ تأليفها، ومعرفة الأُمَّـات منها والفروع، ونحو هذه الأمور.

ومن هنـــا أحببنا الـــكلام عن هذه الأمـــور الأربعـــة بشيء من الإيجاز والاختصار.

الفصل الأول

تاريخ الدعوة النجدية وترجمة إمام الدعوة

المبحث الأول

المصادر الأصلية لتاريخ الدعوة النجدية

قبل الشروع في الكلام حول تاريخ الدعـــوة، وذكر أحداثه على نحوٍ موجز، لا بد أن نُعرِّف بالكتـــب المهمة التي تكلمت عن تاريخ هذه الدعوة.

وقبل ذلـــك لا بد مـــن التنويـــه على أنّ هنـــاك أمريـــن: تاريخ الدعـــوة، وتاريخ الدولـــة، وبينهما تداخـــل، فإن الدولة الســـعودية قامت على الدعوة الســـلفية النجدية التي قام بهـــا الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀، لكنّ الدعوة الســـلفية النجدية لا تســـقط بسقوط الدولـــة، ســـواءٌ الأولى أو الثانية، لكن لمـــا كان الارتبـــاط بينهما وثيقاً، من جهة أن الدولـــة إنما قامت لنشر مبادئ الدعوة الســـلفية النجدية، ومراحل الســـقوط أيضاً كانت فترات زمنيـــة قصيرة إذا ما قورنت بعمر الدولة، صار الكلام عن تاريخ الدعوة يشـــمل الأمرين: الدعوة والدولة.

وأما المصادر الأصلية:

كتاب«تاريخ نجد» لحسين بن غنام الإحسائي

فمن أهمها وأولها الكتاب المشـــهور باسم «**تاريخ نجد**» لمؤرخ نجد حسين بن غنام الإحسائي المتوفى ســـنة ١٢٢٥هـ، وكان أحد المتأثرين بالدعوة والمنتمين إليهـــا، وهو من تلاميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ، وكتابه المشـــار إليه كان بطلـــبٍ من الإمام محمد ابن عبد الوهاب نفســـه، فقد طلب منه أن يدوّن تاريخ الدعوة، فكان هذا الكتاب.

فمؤلف هذا الكتاب رجل عاصر الدعوة والأحداث، فهي شهادة عالمٍ أمين على واقع شهده.

وقد ســـمى كتابه «**روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**»

قـال حمـد الجـاسر عنـه وعـن تاريخـه هـذا: (وكان مـن أول مـن قـام بذلـك -يعنـي تدويـن تاريـخ قيـام الدعـوة مـن نجـد- عـالم جليـل مـن بـلاد الأحسـاء قـدم الدرعيـة قاعـدة تلـك الحركـة لينهـل مـن معـين علـم الداعيـة الأول الإمـام محمـد، هـو الشـيخ حسـين بـن غنـام (تـوفي ١٢٢٥هـ) ، فألَّـف كتابـه الـذي يعتـبر المصـدر الأول لبيـان حقيقـة تلـك الدعـوة، بمـا نـشره مـن رسـائل الشـيخ وآرائـه وكتبـه، ولتصويـر مـا قـام بـه حماتهـا مـن جهـاد وكفـاح، ضمـن القسـم الأول في الجـزء الأول مـن تاريخـه الـذي دعـاه: «**روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام**»، وأوضـح

الجانب الثاني في الجزء الثاني الذي سماه: «**كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية**»)[1].

وقد أرَّخ ابن غنام هذه الدعوة من بدايتها إلى سنة ١٢١٢هـ، أي: إلى ما بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ بست سنين، وقد ترجم للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﷺ في كتابه ترجمة جميلة حافلة في الجزء الأول من كتابه.

وهذا الكتاب المشهور بـ «**تاريخ نجد**» لم يكتف مؤلفه بذكر التاريخ والأحداث فقط، بل إنه نقل كثيرًا من رسائل الإمام ومقالاته وأقواله، فكتابه يُعدّ من أوائل الكتب التي تكلمت عن تاريخ الدعوة النجدية، ومن أهمها.

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد اليوم في المكتبات كتابان بعنوان «**تاريخ نجد**»، أحدهما لحسين بن غنام وهو الأصل، والآخر لحسين بن أسد الذي كتب تاريخ ابن غنام بعبارة جديدة؛ وذلك أن كتاب حسين بن غنام مسجوع كله، من أوله إلى آخره، فأتى الدكتور حسين بن أسد فغيّر العبارات المسجوعة وهذبها، ورتب المعلومات، وقسّم تاريخ نجد إلى أربعة أقسام.

ولا شك أن الكتاب الأصل أهم بكثير من الكتاب المهذّب؛ ويبقى العمدة والمرجع الرئيس.

---

(١) مقدمة حمد الجاسر لكتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» ص٩-١٠

كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر النجدي

الكتاب الثاني هو كتاب **«عنوان المجد في تاريخ نجد»** لعثمان بن بشر النجدي، والمتوفى سنة ١٢٩٠هـ، ومؤلفه عاصر الدولة السعودية الثانية، بخلاف حسين بن غنام الإحسائي فإنه عاصر الدولة السعودية الأولى منذ نشأتها.

وقد أرّخ عثمان بن بشر رحمه الله الأحداث إلى سنة ١٢٦٧هـ، وترجم أيضًا للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكتابه مطبوع متداول.

وقد قال عنه البسام: (هذا التاريخ هو أنفس وأجمع وأوثق وأعدل ما صُنِّف من تواريخ نجد)[1].

ما كتبه أئمة الدعوة

ومن المصادر المهمة في معرفة تاريخ الدعوة: ما كتبه أئمة الدعوة أنفسهم عن الأحداث التي جرت في عهدهم، فقد تكلم كثير من أئمة الدعوة عن هذه الأحداث في كتبهم المؤلفة ورسائلهم الشخصية؛ منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم كثير - رحمهم الله أجمعين-، كلهم تكلموا عن سيرة إمام الدعوة، وذكروا كثيراً من الأحداث والمواقف التي جرت في عهدهم وقبل عهدهم، مع ذكر أسماء تلك الأحداث والأشخاص والتواريخ،

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١١٧/٥)

وهـذه المواضـع منثـورة في المجاميـع التـي جمعـت كثـيراً مـن رسـائلهم[1].

كتاب «تاريخ المملكة العربية السعودية» لعبد الله العثيمين

ومـن الكتـب المعـاصرة أيضـاً ثلاثـة كتـب مهمـة للدكتـور عبـد اللـه العثيمـين، وهـي: «**تاريخ المملكة العربية السعودية**»، و«**الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره**»، و«**بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**».

ومـن الكتـب المهمـة أيضـاً كتـاب «عقيـدة الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب السـلفية وأثرهـا عـلى الواقـع الإسـلامي» للدكتـور صالـح العبـود.

وهنـاك كتـب كثـيرة أُلفـت في تاريـخ الدعـوة حتـى مـن المسـتشرقين ومـن غيرهـم، لكننـا آثرنـا الـكلام عـلى أهمهـا.

(١) انظر: الدرر السنية: [(٣٧٣/١)، (٢٢٠/٢)، (٤٤٩/١٠، ٥١) (٦/١٢ وما بعدها، ١٢ وما بعدها، ٣٢٩)]، منهاج التأسيس (ص٥٦)، عيون الرسائل (٦٥٦/٢)، وغيرها من المواضع.

مطلب
مراحل تاريخ الدعوة النجدية

ينقسم تاريخ الدعوة النجدية إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما يُعرف بالدولة السعودية الأولى، وهذه بدأت سنة ١١٥٧هـ واستمرت إلى سنة ١٢٣٣هـ.

ثم بعد ذلك جاءت **المرحلة الثانية**، وهي مرحلة الدولة السعودية الثانية، والتي قامت بعد سقوط الدولة السعودية الأولى بسبع سنين، في سنة ١٢٣٩هـ واستمرت إلى سنة ١٣٠٩هـ.

ثم جاءت بعد ذلك الدولة السعودية الثالثة والتي قامت سنة ١٣١٩هـ، ولا تزال باقية بحمد الله إلى يومنا هذا باسم المملكة العربية السعودية.

المبحث الثاني

تاريخ الدعوة إلى وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب وترجمة موجزة له

هذا أوان الشروع في ذكر شيء من تاريخ الدعوة، مبتدئين بترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد المشرفي الوهيبي التميمي[1].

(١) بالإضافة إلى المراجع الأصلية التي سبق الإشارة إليها لمعرفة حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتاريخ الدعوة يمكن الرجوع أيضاً إلى: «تاريخ نجد» لمحمود شكري الألوسي، و«الوهابيون والحجاز» لمحمد رشيد رضا، و«تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لإبراهيم بن عيسى، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» لعبد الله البسام، و«تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» لسليمان بن سحمان، و«سيرة محمد بن عبد الوهاب» لعبد العزيز بن باز، و«محمد بن عبد الوهاب» لأحمد بن عبد الغفور عطار، و«داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب» لعبد العزيز سيد الأهل، و«سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب» لأمين سعيد، و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي، و«الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ» لعبد الله بن سعد الرويشد، و«دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد» لعبد العزيز العبد اللطيف، و«الشيخ الإمام محمد ابن عبد الوهاب حياته ودعوته» للدكتور عبد الله يوسف الشبل، و«محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه» لمسعود الندوي، و«دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية» لأحمد بن عبد العزيز الحصين، و«انتشار دعوة محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية» لمحمد كمال جمعة، و«لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف، و«تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل وعهد الملك عبد العزيز» لأمين سعيد، و«تاريخ نجد الحديث وملحقاته» لأمين الريحاني، وغيرها كثير.

وقد ولد الشيخ رحمه الله سنة ١١١٥هـ في بلدة «**العيينة**»، وكان واقع الحال في الوقت الذي وُلد فيه الشيخ رحمه الله سيئًا جدًا، ومن قرأ ما كتبه حسين بن غنام في «**تاريخ نجد**» عن حال الجزيرة العربية قبل قيام هذه الدعوة يجده شبيهاً بحال الجاهلية الأولى، فقد كان الشرك يعج في عامة بلاد المسلمين؛ مصر والشام، وتركيا قلب الدولة العثمانية، فضلاً عن الهند وباكستان وغيرها من دول الأعاجم، وهكذا كان الحال في الجزيرة العربية موطن الشيخ، فكانت آنذاك ألوان من الشرك والبدع تنتشر؛ منها مقامات ومشاهد مبنية على قبور بعض الصالحين، كالقبة التي كانت على قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، والقبة التي على قبر ضرار بن الأزور في شعب غبيرة، كما عُبدت في الجزيرة الكهوف والغيران والأشجار.

وكان في البلدة التي ولد فيها الشيخ رحمه الله «**العيينة**» سبع عشرة شجرة تُعبد من دون الله، حتى المجانين كانوا يُعبدون ويُعتقد فيهم الولاية، وكان للكهان والسحرة وأهل الشعبذة مكانة وحضور كبير بين الناس، وقد تكلم حسين بن غنام بإسهاب عن حال الجزيرة العربية قبل قيام هذه الدعوة المباركة، فكان الحال أشبه ما يكون بالجاهلية الأولى[1].

(١) «تاريخ نجد» لابن غنام، الفصل الأول في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والحساء وغيرهما مما يليهما من البلدان (٥/١)، وانظر أيضاً «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» لسليمان بن سحمان، فقد تكلم بإسهاب في الحال في الجزيرة العربية وعموم بلاد المسلمين قبل الدعوة، ص٧٦ وما بعدها

وقد ذكر الصنعاني ﷺ في مقدمة رسالته «**تطهير الاعتقاد**»[1] كثرة انتشار الشرك وشيوعه في عامة بلاد الإسلام، فقال: (فهذا «**تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**» وجب عليّ تأليفه، وتعيّن عليَّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتّخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن، والشام، ومصر، ونجد، وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدّعي العلم بالمغيبات والمكاشفات).

وللشيخ حسين بن مهدي النُّعمي (١١٨٧هـ) كلام طويل يصف به حال ما عليه أكثر الناس من الشرك والتعلّق بالموتى فيقول: (إن ما فشا في العامة ومن امتاز عنهم بالاسم فقط هو كون هجيراهم عند الأموات ومصارع الرفات: دعاءهم، والاستغاثة بهم، والعكوف حول أجداثهم، ورفع الأصوات بالخوار، وإظهار الفاقة والاضطرار، واللجأ في ظلمات البحر والتطام أمواجه الكبار، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال...

وشواهد هذا ظاهرة في حالاتهم تلك، بحيث إن جماهير من العامة لا يحصون في أقاليم واسعة وأقطار متباعدة ونواحي متباينة، لما كانوا قد نشؤوا لا يعرفون إلا ما وجدوا عليه من قبلهم من الآباء والشيوخ من هذه العقائد الوثنية والمفاسد، فتجدهم إذا شكى أحدهم على الآخر نازلة نزلت؛ فلعله لا يخطر له في بال؛ إلا: هل قد

(١) ص١٢

ذهبت إلى الولي؟..)[1].

ولد الشيخ رحمه الله في هذه الأجواء في بلدة «**العيينة**»، وأخذ العلم عن والده وكان قاضياً في العيينة، كما أخذ العلم عن جدِّه سليمان وكان من أكابر علماء الجزيرة حتى إنه كان يُلقب بمفتي الديار النجدية، وهو من علماء الحنابلة المشاهير آنذاك.

وقد برع الشيخ رحمه الله منذ صغره في عامة الفنون، وكان له فطنة وذكاء، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وبرع في العلوم وظهرت عليه آثار النجابة، ورحل رحمه الله في طلب العلم، فرحل إلى مكة والمدينة والإحساء، ورحل أيضًا إلى البصرة، والتقى بكثير من العلماء وتتلمذ على كثير منهم.

ومن أكثر رحلاته فائدة رحلته إلى المدينة النبوية، فإنه التقى هناك بعالمين جليلين: عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي، ومحمد حياة السندي رحمهما الله، فلازمهما مدة مقامه في المدينة، وكان عبد الله بن سيف متأثراً بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومحباً له، وكذلك الحال مع محمد حياة السندي وكان من أعلام المحدثين، وقد اشتهر بالدعوة إلى تعظيم الدليل وذمّ التعصب، ومحاربة مظاهر الشرك والبدع.

وفي أحد الأيام رأى المحدِّث محمد حياة السندي رحمه الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب واقفاً عند الحجرة النبوية، والعامة يعملون

(١) «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» ص١٦٩-١٨٥

ويقولون ما لا يجوز من البدع والتوسلات الشركية، فسأله شيخه السندي عن رأيه في أولئك، فقال ﷺ: (إن هؤلاء متبُرَّ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون).

وقد تأثر الشيخ ﷺ بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وكان له اعتناء كبير بكتب السُّنّة وشروحها، وإلمام بتفسير القرآن، وله اطلاع واسع على كتب السلف، وخبرة ومعرفة بمناهج الأئمة، وقد رزقه الله ﷻ فهماً، وهيأ له الظروف ليكون إمامًا من أئمة ذلك الزمان، ومجددًا من مجدديه.

وبعد أن تكونت عنده ملكة علمية عظيمة، تبيَّن له ما عليه كثير من الناس من البعد عن دين الله ﷻ، والجهل بأصل الدين الذي جاء به النبي ﷺ، فعزم على الدعوة إلى الله ﷻ؛ الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، ونشر هذا الدين، ووطّن نفسه لذلك، وسأل الله ﷻ أن يعينه ويوفقه للقيام بهذه الدعوة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ في ذكر تاريخ الإمام: (لما قضى الحج وقف في الملتزم، وسأل الله تعالى أن يُظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس)[1].

ثم رحل إلى البصرة وهو في العشرينات من عمره، ومكث هناك أكثر من سنتين، التقى بكثير من العلماء، منهم محمد المجموعي، وقاضي البصرة شهاب الدين الموصلي، وقد درس هناك علم الفقه

(١) الدرر السنية (٨/٢)

والحديث واللغة.

وكان الشيخ ﷺ مدة مقامه بالبصرة ينكر على بعض العلماء والعامة أعمالهم البدعية والشركية وينهاهم عنها ويجادلهم فيها، وقد استحسن شيخه المجموعي هذا منه، ودخلت العقيدة الصحيحة في قلبه.

وقد ذكر حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ أنه صنّف كتابه «**كتاب التوحيد**» في البصرة لنفع هؤلاء الجهلة[1].

وحدثت له حوادث كثيرة في البصرة، ووشيت فيه وشايات، وهُدّد بالقتل، حتى اضطُرّ إلى الخروج من البصرة لينجو بنفسه، وكاد أن يهلك في الطريق من شدة العطش لولا أن يسّر الله له صاحب حمار مكاري، مرَّ به وسقاه وحمله إلى الزبير.

توجه بعد ذلك إلى نجدٍ مروراً بالإحساء، ونزل عند الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الإحسائي ﷺ، فأكرمه وأحسن وفادته، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ﷺ ما سُرّ به، وقد أثنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ على عبد الله ابن عبد اللطيف بمعرفته لعقيدة الإمام أحمد، كما التقى بعلماء الإحساء، منهم: عبد الله بن فيروز والد عالم الإحساء محمد بن فيروز، وهو ابن عمة الشيخ ابن عبد الوهاب.

ثم التحق بوالده في بلدة «**حريملاء**»، وكان والده قد ترك «**العيينة**»

(١) الدرر السنية (٧/١٢)

لخلاف وقع بينه وبين حاكمها آنذاك سنة ١١٣٩هـ. وبقي الشيخ فيها إلى وفاة والده سنة ١١٥٣هـ.

وكان الشيخ رحمه الله في مدة مقامه بـ «**حريملاء**» يشتغل بالكتابة والمراسلة والتأليف، والردّ على ما يرده من شبهات واعتراضات على دعوته.

ولم يجهر الشيخ رحمه الله بالدعوة في «**حريملاء**» والإنكار على المظاهر الشركية والبدعية إلا بعد وفاة والده سنة ١١٥٣هـ، حيث جلس للتدريس والإفادة وتقرير العقيدة الصحيحة حتى ذاع صيته، وانتشرت دعوته، فوفد إليه أناس كثيرون من القرى المجاورة، وكثر المتأثرون به.

مناصرة حاكم «العيينة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهدم القبة المقامة على قبر زيد بن الخطاب

وقد حاول بعض الفسقة من موالي بعض رؤساء «**حريملاء**» إيذاء الشيخ، فخرج منها إلى مسقط رأسه «**العيينة**» سنة ١١٥٤هـ بعد أن دعاه إلى ذلك حاكمها الجديد عثمان بن حمد بن معمّر، وكان محباً للشيخ متأثراً بدعوته. وكانت بلدة «**العيينة**» أنسب لدعوة الشيخ، فقد كانت أكبر بلدان نجد وأكثرها سكاناً.

وفي «**العيينة**» اشتغل الشيخ رحمه الله بالتدريس والتعليم ونشر التوحيد والسنّة، واستطاع أن يزيل جميع مظاهر الشرك والبدع الموجودة في «**العيينة**».

ولما رأى الشيخ رحمه الله بأن العلم قد انتشر، وأن الحجة قد أقيمت على عامة أهل الجزيرة مشافهةً ومكاتبة ومراسلة ومناظرة؛

همّ الشيخ رحمه الله بإزالة ما يمكنه من مظاهر الشرك المنتشرة آنذاك في الجزيرة اتباعاً لأمر النبي ﷺ بهدم الأصنام، وطمس الصور، وتسوية القبور، وإزالة كل ما عليها من بناء وسُرُج، حسماً لمادة الشرك، وقطعاً لذرائعه ووسائله.

فقد روى مسلم في صحيحه[1] عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه في قصة إسلامه أنه قال: فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوحّد الله لا يُشرك به شيء**».

وروى أيضًا عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[2].

فعزم الشيخ رحمه الله على هدم القبة المقامة على قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه في بلدة «**الجبيلة**»، فتوجه إليها مع كوكبة من الفرسان بأمر حاكم العيينة، وقد تسامع الناس بخروجه فعزموا على حماية القبة والانتصار للشرك، لكنهم تركوا ذلك لمّا رأوا القوة التي قدمت عليهم. ولما وصل الشيخ إلى القبة قام بنفسه يهدم ما كان عليها من بناء حتى سوى القبر، ورفعه عن الأرض قيد شبر، وجعله كسائر القبور.

وكان لهذا الحدث دويٌّ عظيم في الجزيرة العربية؛ إذ إن القبة المقامة على قبر زيد بن الخطاب كانت من أكبر المقامات

(١) رواه مسلم (٢٠٨/٢)
(٢) رواه مسلم (٦١/٣)

وأشهرها في الجزيرة العربية.

واصل الشيخ ﷺ نشر هذه الدعوة والقيام بالتدريس والتعليم، وكاتب الأمراء والشيوخ وطلبة العلم وعامة الناس لبيان حقيقة دعوته، وذَكَر الحجج والدلائل عليها، وأجاب عن شبهات واعتراضات أهل الشرك والضلالات.

وقد توافد على الشيخ في «**العيينة**» أناس كثيرون يتعلمون هذه الأصول، وصار له طلبة علم ينهلون من علمه، وينشرون دعوته.

وهذه المرحلة التي قام فيها الشيخ ﷺ بإقامة التوحيد ومحاربة الشرك عملياً قد أقضَّت مضاجع علماء السوء، فقاموا بالوشاية بالدعوة، وإثارة الشبهات حولها، وممن تولى كبر ذلك سليمان بن سحيم، وعبد الله المويس، حيث قاما بمكاتبة العلماء في مختلف البلدان للتنفير عن الدعوة، وسَعَيا عند الأمراء للقضاء عليها في مهدها.

بدأت التهديدات تتوالى على حاكم «**العيينة**» عثمان بن حمد ابن معمّر تطلب منه طرد الشيخ وتتوعده بالقتال إن لم يفعل، وبمنع الخراج الذي كان يُعطى له، لا سيما من حاكم الإحساء آنذاك، وقد كانت الإحساء محطَّ رحلٍ كثير من التجار، فما بقي أحدٌ ذو قوة ورئاسة في ذلك الزمان إلا ويُهدد أمير «**العيينة**»، لكنَّ الشيخ ﷺ صبّر حاكم «**العيينة**»، وهوّن عليه هذه التهديدات،

وذكّـره بوعـد الله بنـصر من نـصر دينه.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾

ثم وقع أمرٌ كان له أثر كبير على واقع الحال في «**العيينة**»، وذلك أنَّ الشيخ رحمه الله -وقد كان قاضي«**العيينة**» ومفتيها- أقام حدَّ الرجم على امرأة اعترفت بالزنا، وشهدت على نفسها أربع مرات تطلب تطهيرها وإقامة حدِّ اللـــه عليها، وكانت هذه المرأة مـــن أشراف الناس، ومن أقرباء أحد أمراء النواحي المهمة والكبيرة في الجزيرة آنذاك، فكانت هذه الحادثة قاصمة الظهر بالنســـبة للحـــال في «**العيينة**»؛ إذ بدأت التهديدات تتوالى على حاكمها بشدة وبقوة، وتزامن ذلك مع وصول تهديدات أمراء القبائل الكبيرة أيضًا، ممن عادوا الشيخ وكرهوا دعوته خوفاً على رئاســـاتهم، فكاتبوا حاكم «**العيينة**» طالبين منه طرد الشيخ وإلا اجتاحوه بعموم قبائلهم.

لم يقوَ ابن معمّر على الصبر على بقاء الشيخ في البلدة، لا سيما أن كثيراً من تجار «**العيينة**» ألحوا عليـــه في ذلك بعد أن ضُيّق عليهم في تجاراتهم، ومُنعوا من كثير منها بسبب الشيخ، فاضطُّر ابن معمّر إلى أن يطلب من الشـــيخ أن يـــترك «**العيينة**» فترة مـــن الزمن إلى أن تهدأ الأمور.

حاول الشـــيخ رحمه الله تصبير ابن معمّر وتذكيره بوعـــد الله بالنصر والتمكين، لكن لم يُجْدِ ذلك بســـبب قوة التهديـــدات، وكان ذلك سنة ١١٥٧هـ.

خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب من «العيينة» إلى «الدرعية» ومبايعة محمد بن سعود له على النصرة

خرج الشـــيخ ﷺ من «**العيينة**» وتوجه إلى أحد تلاميذه في بلدة «**الدرعية**»، وهي بلـــدة في قلب الجزيرة العربيـــة قريبة من الرياض، عليها الأمير محمد بن سعود، وكان ذلك سنة ١١٥٧هـ.

ولما نزل الشـــيخ ﷺ عند تلميذه في الدرعية ذهب بعض محبي الشـــيخ والمتأثرين به إلى زوجة الأمير محمد بن سعود ﷺ وكانت امرأة صالحة، وطلبوا منها أن تُقنع أمير الدرعية بإيواء الشـــيخ وتبنّي دعوته، ففعلت، ووافق الأمير محمد بن ســـعود على إيواء الشـــيخ ومؤازرتـــه، وتوجه في الشـــيخ إلى بيت تلميذه، وتمـــت تلك البيعة المباركة على نصرة الدعوة، ونشرها، والصبر على ذلك.

وذكر بعض المؤرخـــين أن ذهاب الشـــيخ ﷺ إلى الدرعية كان بدعوة من أميرها محمد بن ســـعود، فإن أخويه وهما مشاري وثنيان، وكذلك ابنه عبد العزيز ﷺ كانوا من المتأثرين بدعوة الشيخ.

وكانت تلك البيعة المباركة هي النـــواة الأولى لقيام هذه الدولة، وانتشار هذه الدعوة المباركة.

هيّأ الأمير محمد بن ســـعود ﷺ للشـــيخ جميع الأســـباب التي يتمكن بها من نـــشر العلم، والدعوة إلى الله، فبـــدأ الطلبة يتوافدون على الدرعية من كل مكان. ولما كثر الطلبة الوافدون طلب الشـــيخ من أهالي «**الدرعية**» إيواء إخوانهم القادمين من خارج الدرعية.

واســـتطاع الشـــيخ ﷺ بمعونة من الأمير محمد بن ســـعود ﷺ تكوين كوكبة من طلبـــة العلم المتبنين للدعوة الســـلفية، والقادرين

على نشر العلم وإذاعته والدعوة إليه والجهاد في ذلك.

وقد انضم إلى الدعـــوة اقتناعاً بها وإيمانـــاً بمبادئها بعض أمراء النواحـــي، منهـــم أمـــراء «**منفوحة**» و«**حريملاء**» و«**العيينة**»، وبدأت الدعوة تأخذ بعداً جديداً من التوسع والنفوذ والقوة.

أعداء الشيخ هم من بدأوا القتال ضد الشيخ ودعوته

لكن أعداء الدعوة لم يعجبهم هذا الأمر، وساءهم نصرة الأمير محمد بن ســـعود ﷺ لدعوة الشـــيخ، وجرت أحداث كثيرة غيّرت مجريات الأمور، ووقع غَدْرٌ من بعض أمـــراء النواحي ممن انضموا إلى الدعـــوة، مثل دهام بـــن دوّاس أمير الرياض، فـــكان أول ما بدأ القتال والجهاد سنة ١٢٥٩هـ، وهو قتالٌ لم يبدأه الشيخ ﷺ، بل بدأه أعداؤه؛ إذ غدروا بالشيخ وتلاميذه.

قال الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ: (وأما القتال: فلم نقاتل أحداً إلى اليوم، إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكناً)[1].

وقال ابـــن غنـــام: (ولم يأمـــر ﷺ بســـفك دم ولا قتـــال على أكثر أهل الأهـــواء والضلال حتى بـــدأوه بالحكم عليـــه وأصحابه بالقتل والتكفير)[2].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ: (اعلم أن شـــيخنا ﷺ من أعظم الناس وأكثرهم رفقاً وحلـــماً، ووقوفاً مع

(١) الدرر السنية (٧٣/١)

(٢) «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» (٣٣/١)

الحجَّة والدليل، ولم يبدأ أحداً بقتال حتى بدأوه وكفَّروه)[1].

ومنذ ذلك اليوم والقتال لم يهدأ، وأخـذت الانتصارات تتوالى على الدولـة، وبدأت الدعوة تنتـشر، ونَصَر اللـه ﷻ الدعوة نصرًا مؤزرًا، وكانت تلك الجيـوش لا تخرج في غزوة مـن الغزوات إلا بفتوى من الشـيخ، ولم يتخلَّف الشـيخ ﷺ عن القتـال والجهاد بنفسـه، بل كان على رأس تلك الجيوش تحت رايـة أميرها محمد ابن سـعود ﷺ، وكان الشـيخ ﷺ يشـارك محمد بن سـعود في تنظيم الجيوش، وبعـث السرايا، كما يشـاركه في شـؤون الحكم وأحوال الدولة.

اسـتمر الجهاد لنشر التوحيـد ومحاربة الـشرك وأهله، وصدّ العـدوان والبغي، وقد عانـت الدولة من إمـارات مهمة دأبت على معاداة هذه الدعوة، منها إمارة الرياض، وإمارة الإحسـاء، وغيرهما، فاستمرت الدعوة في الانتشار، وأخذت الدولة تتوسع، وبدأ كثير من الناس ينضم إليها بعدما اتضح لهم الحق بالأدلة. وكان الجهاد قائماً على نشر دعوة الرسل، دعوة التوحيد، وإزالة مظاهر الشرك.

واسـتمر الحـال إلى أن تـوفي الأمـير محمد بن سـعود ﷺ سنة ١١٧٩هـ، وخلفه ابنه عبد العزيز ﷺ، الذي لم يكن إمامًا وأميرًا فقط، بل كان عالماً جليلاً، وله رسـائل مطبوعة، فقد كان من تلاميذ الشيخ القدماء.

---

(١) مصباح الظلام ص٥٢٠

وفاة محمد بن سعود وولاية ابنه عبد العزيز

وقد ذكر ابن بشر في «**عنوان المجد**» في سيرة الأمير عبد العزيز ابن محمد بن سعود رحمه الله من العدل والديانة وحسن الرعاية والقيام بمصالح الرعية شيئاً يفوق الوصف، ولم يأت بعد عمر بن عبد العزيز من الأمراء والملوك من عُرف بالعدل والديانة والقوة والأمانة مثل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود[1].

ومما قاله ابن بشر: (وكانت الأقطار والرعية في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنية، وهو حقيقٌ أن يُلقَّب مهدي زمانه، لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أي وقت شاء، شتاءً وصيفًا، يمنًا وشامًا، شرقًا وغربًا، في نجد والحجاز واليمن وتهامة وغير ذلك لا يخشى أحدًا إلا الله، لا سارقًا ولا مكابرًا)[2].

وقال محمود شكري الألوسي رحمه الله في سيرة عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله: (وهو الذي قاد الجيوش لنصرة دعوة ابن عبد الوهاب، وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد، وزالت به الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر، وكانت الإبل والخيل والأنعام ترعى في الصحراء وتلد وليس عندها سوى رجل واحد، لا يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً)[3].

استمر الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله بمعية

---

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/١٢٥-١٣١)
(٢) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/١٢٦)
(٣) «تاريخ نجد» لمحمود شكري الألوسي ص٩٨

الشيخ ﵀ في القتال والجهاد، وكان الأمير والشيخ يخرجان مع الجيش بأنفسهما إلى أن سقطت إمارة الرياض، والتي كانت من أشد الإمارات عداوةً للدعوة، وذلك سنة ١١٨٨هـ.

ولما كبر السنُّ بالشيخ ﵀، وضعُفت بنيته، وكثرت أعمال الحكم، وترامت أطراف الدولة، واتسعت دائرة البلاد، اعتزل الشيخ شؤون الدولة الإدارية والعسكرية، واكتفى بالقيام بالعلم والتعليم وما يتعلق بالشؤون الدينية والإشراف عليها، واستمر أبناؤه وأحفاده وتلاميذه يخرجون للجهاد.

وفي تلك الأوقات كان شريف مكة يُراسل الباب العالي -وهي الحكومة العثمانية- يُحذرهم من دعوة الشيخ، ويطلب منهم قطع دابرها قبل استفحالها، وقد أرسل كتابًا سنة ١١٦٣هـ يُحذرهم من قيام الدعوة النجدية في نجد وتوسعها.

وكان الشريف قد قبض على ستين رجلاً من أهل نجد في الحج ونكَّل بهم، ثم مُنع أنصار الشيخ من أهل نجد من الحج مدة طويلة؛ من سنة ١١٦٢هـ إلى أن دخلت مكة في حكم الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٨هـ.

وكان الشيخ ﵀ قد بعث بعض علماء الدعوة على رأسهم الشيخ عبد العزيز الحصيّن ﵀ لمناظرة علماء مكة ومناقشتهم حول الدعوة، وكان ذلك سنة ١١٨٤هـ، وجرت مناقشات ومناظرات ظهرت فيها حجة علماء الدعوة، لكن لم تَلْقَ قبولاً بسبب التعصب والجهل.

وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب بعد أن خلّف وراءه علماء، واستمرار الجهاد حتى توسعت الدولة

استمرت الدولة الســعودية الأولى في التوسع، والدعوة النجدية في الانتشار إلى أن تُوفِّي الشيخ رحمه الله ســنة ١٢٠٦هـ، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم ونشر الدعوة والتوحيــد، وخلّف وراءه علماء أكابر، وفقهاء محققين، وأئمة مهديين.

المطلب الأول

أقسام الناس تجاه دعوة الشيخ رحمه الله

لقد عانت الدعوة كثيراً من أعدائها ممن ردُّوا دعوة الشيخ رحمه الله، وهم ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الجهال الخرافيون من عوام الناس

الذين قلدوا الآباء والأجداد فرفضوا الدعوة تقليداً للآباء والأجداد، جرياً على سنة الأولين.

قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾.

الطائفة الثانية: طائفة تنتسب للعلم

وهؤلاء ردُّوا دعوة الشيخ عناداً وحسداً أن يَظْهَرَ الحق على يد الشيخ، وأن يَعْرِفَ الناس الحق بدعوته، وقد كان بعضهم يكاتب الشيخ سراً ويذكر موافقته له، وعجزه عن إظهار الدعوة خوفاً من الناس، ومنهم من حارب الدعوة خوفاً من ملامة الناس، ودفعاً أن يُقال لهم: أين أنتم عنا طوال تلك السنين؟ لِمَ لَمْ تنكروا هذه المنكرات؟ لِمَ لَمْ تخبرونا بأن ما نحن فيه شرك وضلال؟ ولذلك رد هؤلاء دعوته وعادوها عناداً وحسداً، أو خوفاً من الناس.

الطائفة الثالثة: طائفة عادت الشيخ باسم السياسة

وهم أمراء بعض النواحي والبلاد آنذاك الذين خشوا من زوال

ملكهم، وكان لبعضهم علماء سوء يُزيِّنون لهم ما هم فيه من الباطل، ويُحذِّرونهم من دعوة الشـــيخ، ومنهم من كان يـــأكل أموال الناس بالباطل فخشي من زوال ذلك، فعارض هؤلاء الشيخ محتجين بمن عارضه مـــن العلماء، أو ممن يُنســـب إلى علم آنـــذاك، بينما الدافع الحقيقي كان سياسياً.

المطلب الثاني

العلماء في عهد الشيخ وأسباب عدم انتشار دعوتهم

قد يقول قائل: ألم يكن في وقت الشيخ ﵀ علماء على التوحيد الخالص والسنّة المحضة؟ أم أن الشيخ كان فريداً في دعوته لم يُوفَّق أحدٌ من العلماء إليها؟

الجواب: أنه قد كان في وقت الشيخ ﵀ بل وقبل وقت الشيخ علماء على التوحيد والسنّة، وكانت لهم جهودٌ في نشر التوحيد ومحاربة الشرك، ومن أشهر هؤلاء: محمد بن إسماعيل الصنعاني ﵀، فإنه كان أسنَّ من الشيخ، وقد دعا إلى هذه الدعوة في اليمن قبل الشيخ، وكذلك حُسين بن مهدي النُّعمي ﵀، وغيرهما من العلماء، دعوا إلى التوحيد، وبيّنوا ما عليه أكثر الناس من الشرك والضلالات، لكن لم يُمكّن لكثير منهم، وذلك لأسباب ثلاثة:

السبب الأول: عدم تيسر الناصر

بعض هؤلاء لم يتيسر لهم من ينصرهم ويؤيدهم بمثل ما تيسّر للشيخ، فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ يسّر الله له من ينصر دعوته ويؤيدها، وهو الإمام محمد بن سعود ﵀، وأما أولئك فلم يتيسر لهم من ينصرهم.

قال ابن تيمية ﵀: (ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد؛ كتاب يهدي به، وحديد ينصره، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين)[1].

السبب الثاني: قلة صبر بعضهم

لم يكن عند بعضهم من الصبر على الدعوة وتحمل أذى الناس مثل ما كان عند الشيخ ﷺ، فإنه كان عظيمَ الصبر، وقد ابتُلي بلاءً عظيماً، وما فَتَّ ذلك في عضده، ولا أضعف من همته، بل كلما طال الزمان زادت همته. وكان بعض العلماء الذين وافقوا الشيخ يكاتبونه مؤيدين لدعوته، لكنهم كانوا عاجزين عن الجهر بالدعوة والصدع بها ومخالفة ما عليه الناس، إما خوفاً أو ضعفاً.

السبب الثالث: قلة علوم بعضهم

لم يكن بعضهم قادراً على تقرير الحق وتوضيحه وتبيينه بذكر الأدلة، وبيان مذاهب الأئمة، وربما عجز عن كشف الشبهات التي تُثار حول الدعوة، فلم يتمكن من توجيه الناس بالأساليب المناسبة، والعبارات اللائقة، والحكمة والموعظة الحسنة.

(١) مجموع الفتاوى (٣٦/٣٥)

المبحث الثالث

تاريخ الدعوة ما بعد وفاة إمام الدعوة

لم يتوقف الجهاد بوفاة الشيخ ﷺ، بل استمر بقيادة عبد العزيز ابن محمد بن سعود ﷺ لنشر التوحيد، ومحاربة الشرك، وصدّ العدوان، وتوسعت الدولة توسعًا عظيمًا، حتى امتد نفوذها إلى العراق، ووصلت قواتها إلى «**كربلاء**» شمالاً، وبلغت «**عمان**» و«**رأس الخيمة**» جنوباً، ومن الخليج العربي شرقاً إلى أطراف البحر الأحمر غرباً.

مقتل الأمير عبد العزيز بن محمد وولاية ابنه سعود

قُتل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ﷺ سنة ١٢١٩هـ على يد بعض الحشّاشين، وهم فرقة من فرق الباطنية اشتهروا بالاغتيالات، فخلفه ابنه سعود المشهور بـ «**سعود الكبير**» ﷺ، وهو أول من لُقّب بالإمام.

قمة ازدهار الدولة السعودية الأولى في عصر سعود الكبير ودخول الحجاز

ويُعدّ الإمام سعود بن عبد العزيز ﷺ من أقوى أمراء آل سعود، وكان شديد البطش بالمفسدين والمشركين، ويعتبر عصره قمة ازدهار الدولة؛ فقد أخضع في عهده الحجاز، فدخل مكة سنة ١٢١٨هـ

في آخر عهد والده، ثم المدينة النبوية بعد ذلك بسنتين، وكان ﷺ قائد الجيش الذي دخل «**كربلاء**» في عهد والده عبد العزيز، وقام حينها بهدم الكثير من مظاهر الشرك في «**كربلاء**» و«**الزبير**» وغيرهما من القرى.

واستطاع الإمام سعود بن عبد العزيز ﷺ أن يُخضع الحجاز وعمان وكثيراً من الأقاليم، حتى بلغت جيوش الدولة السعودية في عهده حدود دمشق من بلاد الشام، وهو أقصى اتساع لها على الإطلاق في عهده.

إيعاز الدولة العثمانية إلى واليها على مصر محمد علي باشا بغزو الجزيرة العربية لسببين

بعد اتساع هذه الدعوة المباركة وتنامي الدولة، لا سيما بعد أخذ الحجاز من الأشراف وخروج سلطة الدولة العثمانية عن الحرمين، وكانت الحجاز تعتبر من الممالك المهمة جـدًا للعثمانيين؛ لمكانة الحرمين ومنزلتهما في قلوب المسلمين، أوعزت الدولة العثمانية إلى واليها على مصر محمد علي باشا بغزو الجزيرة العربية، وأرادوا بذلك تحقيق أمرين:

الأول: القضاء على الدولة السعودية، وطمس دعوة التوحيد والسنّة.

الأمر الثاني: إضعاف قوة محمد علي باشا التي تنامت في مصر بشكل كبير، فخشي العثمانيون أن يسعى إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، فحاولوا إشغاله بحرب الدولة السعودية لتضعف قوته وتتشتت قواته.

المطلب الأول

حقيقة العداء بين الدعوة والدولة العثمانية

العداء الـذي كان بين الدولـة السـعودية والعثمانيين لم يكن- كما يُصوره بعض النـاس- عداءً دافعه الملك أو السياسـة، بل كان عداءً قائماً على التوحيد في المقام الأول؛ فـإنَّ الدولة العثمانية في ذلك الوقت والجيوش التركية التي جاءت لحرب الدولة السـعودية والدعوة النجدية الأولى لم يكن مقصودهـا الأرض فقط، ومن قال ذلك فقـد أخطأ، بل كان مقصودهـا صدّ هذه الدعـوة؛ فإن الدولة العثمانيـة كانت ترعى البـدع والشركيات، وتدعم الطـرق الصوفية التي كان لها انتشـار واسـع في أرجـاء الأقاليم الخاضعـة للدولة العثمانية لا سـيما في العصـور المتأخرة منها، وكان هـذا من أكبر أسباب ضعف الأمة الإسلامية في ظل حكم الدولة العثمانية.

على أننا لا ننكر دورهـا العظيم في حماية بلاد المسـلمين من مخططـات الكفار، وصـدّ عدوانهـم عليها، وتمكنها من توسـيع الفتوحات في بلاد أوروبا، والقيام بحماية الحرمين، لكن الحال تغير كثيراً لا سيما في القرنين الأخيرين من عمر هذه الدولة.

فالدولة العثمانيـة والجيوش التركيـة التي غزت نجـداً آنذاك كان قصدها الأول الصدّ عن سـبيل الله، غـزت لتُقيم معالم الشرك وتعلي شـعائره ومناراته، وتطمس التوحيد وتهدم معالمه، فلم تكن الخصومة بين آل سـعود وبينهم محصورة في الأرض أو السلطة، بل

كانت خصومة قائمة على الدين. نعم، قد يصاحب ذلك شيء من المصالح الدنيوية، لكنّ هذا لا ينفي أن تكون أصل العداوة قائمة على الدين والعقيدة.

وكان مما ذكره الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٧هـ، واصفاً حال قوات الموحدين، والقوات العثمانية المصرية، بعدما ذكر هزيمتها على يد الموحدين، أنه قال: (ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدّعون الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر؟ وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا ينتحل مذهباً، وصُحبَتنا صناديق المسكرات، ولا يُسمع في عرضينا أذان، ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم[١] إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة، والحرب قائمة أذن المؤذن، وصلوا صلاة الخوف، فتتقدم طائفة للحرب، وتتأخر الأخرى للصلاة، وعسكرنا يتعجبون من ذلك، لأنهم لم يسمعوا به، فضلاً عن رؤيته،...، وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غُلفاً غير مختونين)[٢].

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ واصفاً حال العساكر التركية: (فمن عرف هذا الأصل الأصيل عرف ضرر الفتن الواقعة في هذه الأزمان، بالعساكر التركية، وعرف أنها تعود على

(١) أي: قوات الدولة السعودية والدعوة النجدية
(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣٤١/٣)

هذا الأصل الأصيل بالهدّ والهـدم، والمحو بالكلية، وتقتضي ظهور الشرك والتعطيل، ورفع أعلامه الكفرية، وأن مرتبتها من الكفر وفساد البلاد والعباد فوق ما يتوهمه المتوهمون، ويظنه الظانون)[1].

وقال عبد الله بن عبـد اللطيف آل الشـيخ ﷺ: (وهذه الدولة التي تنتسـب إلى الإسـلام هم الذين أفسـدوا على النـاس دينهم ودنياهم، استسـلموا للنصرانيـة، واتحدت كلمتهـم معهم، وصار ضررهم وشرهـم على أهـل الإسـلام والأمـة المسـتجيبة لنبيها والمخلصة لربها)[2].

وقال محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ﷺ: (والفتنة التي حلت بهم - أي: أهل نجد- هي فتنة العساكر التركية والمصرية، فانتثر نظام الإسلام، وشُتّتت أنصاره وأعوانه، وارتحلت الدولة الإسلامية، وأعلن أهل النفاق بنفاقهم، فرجع من رجع إلى دين آبائه، وإلى ما كان عليه سابقاً من الشرك والكفر، وثبت من ثبت على الإسلام، وقام بهم من أمور الجاهلية أشياء لا تخرج من ثبت منهم عن الإسلام)[3].

وقال الملك عبد العزيـز بن عبد الرحمـن ﷺ: (كانت الدولة العثمانية وقد كانت أقرب النـاس بصفتها دولة الإسـلام، فحاربتنا باسم الإسلام والمسـلمين محاربات شـديدة، وأحاطت بنا من كل جانب، حارَبَنا مدحت باشا من جهات القطيف والأحساء، وسيرَّت

(١) الدرر السنية (٣٢٢/١٠)
(٢) المصدر السابق (٢٢/٨)
(٣) المصدر السابق (٤٥١/١٠)

علينا من الحجاز واليمن قوات عظيمة، وكذلك سارت جيوشها من الشمال فحاصرتنا من كل جانب للقضاء علينا وضربنا في الصميم. حاربتنا باعتبار «**الوهابية**» مذهباً جديداً، وابن عبد الوهاب جاء ببدعة جديدة وأن «**الوهابيين**» تجب محاربتهم إلى غير ذلك من الأقوال المنمقة التي انطلت على أصحاب العقول السذّج من الدهماء فانخدعوا وانقادوا لأقوالها، ولكنّ الله نصرنا عليهم.)[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله-: (فإنّ الدولة السعودية دولة مستقلة ليس للترك عليهم سلطان مِنْ قَبْل كسائر بلاد نجد، وإنما غزا الترك بلاد نجد لإزالة التوحيد وإعادة القبورية؛ فكان غزوهم اعتداء على دولة مستقلة ذات سيادة مخالفاً للشرع والنُّظم الدولية، أضف إلى ذلك أنّ هذا الغزو الآثم يُراد به اجتثاث عقيدة التوحيد ومناصرة القبورية.)[2].

محمد علي باشا يبعث ثلاث حملات عسكرية مُني أكثرها بالهزيمة

استجاب محمد علي باشا لأمر السلطان العثماني، وبدأ ببعث الجيوش لقتال الدولة السعودية الأولى، فبدأت البعوث تتوالى على الجزيرة العربية لقتال أهل الدعوة، وقد أرسل ثلاث حملات عسكرية، مُني كثير منها بالهزيمة على يد عساكر الدولة السعودية، دولة التوحيد، إلا أنَّ محمد علي باشا استطاع بعد معارك كثيرة أن ينتزع الحجاز من يد الدولة السعودية. وقد تكلم الشيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ كما في «**الدرر السنية**» عن كثير من تلك

(١) «مختارات من الخطب الملكية» (٤٦/١)
(٢) «شرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» ص١٥

الفصول والأحداث.

لما عجز محمد علي باشـــا من إســـقاط الدولة السعودية، وبعد أن مُنيت جيوشه بهزائم كثيرة، أرســـل ابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٣١هـ بحملة عســـكرية ضخمة، وكان إبراهيم باشـــا فاجراً معروفاً بالشر، شديد البطش؛ معادياً للدعوة.

وفاة سعود الكبير وولاية ابنه عبد الله

توفي الإمام ســـعود بن عبد العزيز ﷺ سنة ١٢٢٩هـ قبل وصول حملة إبراهيم باشا إلى نجد، وخلفه ابنه عبد الله.

سقوط الدولة السعودية الأولى بعد دخول الدرعية

تمكنت الجيـــوش المصرية والتركيـــة بقيادة إبراهيم باشـــا بعد معارك كثيرة، وبمســـاعدة بعض أهل نجـــد من أعـــداء الدعوة من المنافقين وغيرهم من إسقاط الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ، واســـتطاعوا دخـــول «**الدرعية**» بعد حصار طويـــل، فخربوها وعاثوا بها فساداً.

وقد غدر إبراهيم باشـــا بأهل «**الدرعية**» بعـــد أن صالحهم على عدم تخريب المدينة، ففَتك بالعلماء، وكان منهم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ صاحب كتاب «**تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**»، حيـــث وضعـــه في رأس المدفع فمزقه أشلاءً، بعد أن أمر بأن تُعزف على رأسه المعازف.

واستطاع إبراهيم باشا أسر الإمام عبد الله بن سعود ﷺ وبعض أسرته، وبعث بهم إلى الباب العالي في إسطنبول فأُعدموا، كما أسر أيضًا بعض آل الشيخ فقتل بعضهم، وبعث بآخرين منهم إلى مصر.

وكان ممن رُحِّل إلى مصر من آل الشيخ: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله تعالى-، فنُفي جميعهم إلى مصر.

وبهذا انتهت الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ.

بعد سقوط الدولة السعودية الأولى ظهرت معالم الشرك والبدع

بعد سقوط الدولة عاثت الجيوش العثمانية المصرية ومن عاونهم من أهل نجد في الأرض فسادًا، فعمت الفوضى أرجاء الجزيرة، وظهرت معالم الشرك من جديد، وأُحييت كثير من البدع، وأُهين أهل التوحيد، وأهلكت الجيوشُ الحرثَ والنسل، وتغيرت الأوضاع فدبَّ الخوف في الجزيرة بعد أن كانت آمنة في عهد الدولة السعودية الأولى.

إخراج تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود الجيوش العثمانية من الرياض وبداية الدولة السعودية الثانية

وبعد سقوط الدولة السعودية الأولى بسنتين بدأت النواة الأولى للدولة السعودية الثانية، والتي قامت على يد تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود رحمه الله، وبه انتقل الحكم في آل سعود من ذرية عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى ذرية ابنه الآخر عبد الله بن محمد بن سعود رحمهما الله.

وبدأت بوادر هذه الدولة سنة ١٢٣٥هـ، واستطاع تركي بن عبد الله رحمه الله توطيد أركانها وإخراج القوات العثمانية من نجد، ثم جعل من الرياض عاصمة له سنة ١٢٤٠هـ، وبذلك انتقلت عاصمة الدولة من «**الدرعية**» إلى «**الرياض**».

استمر تركي بن عبد الله ﷺ يُقاتل الجيوش العثمانية والمصرية، ويستعيد الأقاليم التي استولت عليها في قتالها للدولة إلى أن توفي ﷺ سنة ١٢٤٩هـ.

وفاة تركي بن عبد الله وولاية ابنه فيصل

تولى الحكم بعده ابنه فيصل وذلك سنة ١٢٥٠هـ، واستطاع أن يُخضع أكثر الإمارات والأقاليم التي أخذها العثمانيون من الدولة ما عدا الحجاز.

وأعاد فيصل بن تركي ﷺ الأمن والنظام إلى الجزيرة بعد سيطرته عليها وتمكنه منها، ونَشَر العلم والدعوة، وأزال مظاهر الشرك، وبثّ العلماء وبعثهم في أنحاء الجزيرة العربية للدعوة والتعليم.

تجهيز محمد بن علي باشا حملة عسكرية كبيرة لاستعادة نجد

لم تَرُق هذه الأحداث لمحمد علي باشا فأرسل حملة عسكرية كبيرة سنة ١٢٥٥هـ، واستطاعت هذه الحملة أن تحتل نجد، ووقع الإمام فيصل بن تركي ﷺ في الأسر، وحُمل إلى مصر، لكنه استطاع الفرار من قبضة المصريين والرجوع إلى الجزيرة بعد أربع سنين.

وتمكن سنة ١٢٥٩هـ من استرداد الحكم، واستطاع في سنين قليلة إرجاع جميع الأقاليم التي أخذها منه العثمانيون ما عدا الحجاز، ورجع الأمن والاستقرار إلى المنطقة مرة أخرى.

واستمر الحال على ذلك إلى أن توفي الإمام فيصل بن تركي ﷺ سنة ١٢٨٢هـ.

تنازع أبناء فيصل بن تركي على الحكم بعد وفاته

وبعد وفاته دبّ نزاع بين أبنائه على الحكم، لا سيما سعود وعبد الله، وقد خلّف ﷺ أربعة أبناء وهم: سعود وعبد الله

وعبد الرحمن ومحمد، فنشبت بين سعود وعبد الله حروب أدت إلى إضعاف الدولة.

وقد تكلم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ عن كثير من الأحداث التي جرت في تلك الفترة، وقد كانت له جهود عظيمة في جمع الكلمة.

ومن الأحداث المهمة التي جرت في تلك الفترة أن عبد الله ابن فيصل بن تركي لما انتزع أخوه سعود منه الحكم راسل الدولة العثمانية، وكتب إلى واليها في بغداد يستنجده على أخيه سعود، وكان هذا الحدث من الأحداث المهمة التي تكلم عنها الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ، وبيّن فيها حرمة الاستعانة بالمشركين وأهل البغي على الموحدين، وردّ على من جوّز ذلك[1].

سيطرة محمد ابن رشيد على الدولة ، وتوجه أسرة عبد الرحمن ابن فيصل إلى الكويت

انتهت أحداث الخصومة بين أبناء فيصل بن تركي ﷺ باستيلاء محمد العبد الله بن رشيد على الحكم، وكان ابن رشيد من أتباع الدولة في عهد فيصل بن تركي، لكنه استغل الخلاف الدائر بين أبناء فيصل بن تركي واستطاع أن يسيطر على الدولة، وأن يأخذ أملاك آل سعود سنة ١٣٠٩هـ.

وبعد استيلاء ابن رشيد على أملاك الدولة السعودية توجه عبد الرحمن بن فيصل بن تركي إلى الكويت بصحبة ابنه

(١) الدرر السنية (٣٤٢/٨، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٧)

عبد العزيز ﷺ، واستقر في الكويت ضيفًا على آل الصباح سنة ١٣٠٩هـ، وبهذا انتهت الدولة السعودية الثانية.

خروج الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن من الكويت واسترداد الرياض

أما الدولة السعودية الثالثة فقد بدأت سنة ١٣١٩هـ، ولا تزال باقية بحمد الله إلى يومنا هذا، حيث استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ﷺ بعد فترةٍ من استقراره ووالده في الكويت أن يتجهّز منها متوجهاً إلى الرياض ومعه ستون رجلاً من رجالاته، وتمكّن من انتزاع إمارة الرياض من آل رشيد بما آتاه الله من الفطنة والذكاء والدهاء، وكان ذلك في سنة ١٣١٩هـ.

ثم أخذ الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن ﷺ بعد ذلك في التوسع، فاستولى على «**الخرج**» و«**الأفلاج**»، حتى تمكن من أخذ عامة بلاد نجد وما حولها من آل رشيد، إلى أن استعاد القصيم سنة ١٣٤٠هـ، ثم قضى على حكم آل رشيد نهائيًا في السنة نفسها.

وفي ظرف سنين معدودة استطاع الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ﷺ استعادة جميع الأقاليم التي كانت تحت نفوذ الدولة السعودية سابقاً، فتوجه إلى منطقة عسير ثم الحجاز، واستطاع أن يدخل مكة، وأن يقضي على حكم الأشراف فيها، وكان ذلك سنة ١٣٤٣هـ.

المطلب الثاني

حركة «الإخوان» وموقف الدولة السعودية منها

من الأمور المهمة التي حدثت في الدولة السعودية الثانية: قيام حركة «**الإخوان**»[1]، وهي في الأصل حركة دينية نشأت بين أهل البادية من القبائل، حيث قام الملك عبد العزيز ﷺ بإرسال الدعاة إلى القبائل لدعوة وإرشاد زعمائها وأفرادها إلى الدين القويم، ونشر دعوة التوحيد بينهم، وحثهم على هجر العوائد المخالفة للشرع، وترغيبهم في الاستيطان في أماكن معينة حتى يسهل عليهم معرفة الأحكام الشرعية. وبدأت الجهود تُؤتي ثمارها سنة ١٣٣٠هـ حيث استوطنت جماعة من قبيلة حرب ومطير «**الأرطاوية**» وبدأوا ببناء مساكن لهم هناك، وأطلقوا على مستوطنتهم الجديدة اسم «**هجرة**» إشارة إلى هجرهم نمط حياتهم الأول، والانتقال إلى نمط جديد يعتمد على أسس شرعية، فأصبحت الأرطاوية مركز أمير قبيلة مطير فيصل الدويش.

وهكذا توالى إنشاء الهجر في مواطن القبائل المختلفة، وكان من أعظمها هجرة «**الغطغط**» مقر زعيم أحد فرعي قبيلة عتيبة الكبيرين: سلطان بن بجاد.

(١) انظر: «الدرر السنية» لابن قاسم، و«تاريخ الدولة السعودية» لعبد الله العثيمين، و«تاريخ نجد الحديث» لأمين الريحاني، و«جزيرة العرب في القرن العشرين» لحافظ وهبة.
ملحوظة: حركة الاخوان المذكورة هنا ليست جماعة الاخوان المسلمين التي تأسست في مصر عام ١٩٢٨م.

اصطلح المنضمّون الجدد لهذه الحركة الدينية والمستقرون في الهجر الجديدة على تسمية أنفسهم بـ «**الإخوان**» إشارة إلى أن ما يربط بينهم هو رابط الأخوة الدينية لا القبلية.

انتشرت بين «**الإخوان**» حماسة دينية كبيرة، وملأت محبة الدعوة قلوبهم، فاستطاع الملك عبد العزيز ﷺ أن يكوّن منهم وحدات عسكرية قوية لمحاربة المناوئين للدعوة. وقد أظهر «**الإخوان**» بسالة في القتال، لا سيما في معركة «**تُربة**» حيث استطاعوا هزيمة جيش الشريف حسين بن علي تحت قيادة ابنه عبد الله سنة ١٣٣٧هـ، والذي كان مجهزاً بالرجال والعتاد والأسلحة الحديثة.

وقد كان للإخوان دور مهم في فتوحات الملك عبد العزيز ﷺ للأقاليم وتوحيد البلاد، لا سيما إقليم الحجاز، وكانوا قوة ضاربة، كما كان لهم دور عظيم في نشر التوحيد بين أهل البادية والقبائل.

وباتساع حركتهم دخل فيهم من لم يكن له غرض صحيح في الدعوة، لا سيما بعد ظهور قوتهم وشوكتهم، إما خوفاً، أو رغبة في الغنائم التي يكسبونها.

لم يكن في «**الإخوان**» علماء متمكّنون من العلم، فظهرت منهم أمور مخالفة للشرع، لا سيما بعد توسع الحركة وانضمام كثيرين لها من أهل البادية، وظهر منهم غلوّ في الدين، آل بهم إلى منازعة الملك عبد العزيز ﷺ سلطانه، والخروج عن طاعته، فكانوا يخرجون للقتال بدون إذنه، وأنكروا عليه أشياء كاستخدامه البرقية

والهاتف، كما أنكروا عليه ترسيمه الحدود مع البلاد المجاورة حيث رأوا ذلك وقفاً للجهاد.

وقد حاول الملك عبد العزيز ﷺ ثنيهم عن تمردهم، فأرسل إليهم العلماء، وعقد كثيراً من المؤتمرات بحضور العلماء وحضور كثير من قادتهم لبيان موقفه، وحذّرهم من مغبة الخروج عن الطاعة، إلا أنهم أبوا ذلك بعد محاولات عديدة لثنيهم وإرجاعهم إلى الطاعة، فاستمروا على تجاوزاتهم.

وقد كتب لهم كثير من العلماء رسائل نصح وإرشاد، وكان منها ما كتبه كل من: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشيخ حسن بن حسين، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبد اللطيف ﷺ حيث بعثوا لهم نصيحة، جاء فيها:

(ورأينا أمراً يوجب الخلل على أهل الإسلام، ودخول التفرق في دولتهم، وهو الاستبداد من دون إمامهم، بزعمهم أنه بنية الجهاد، ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد ومصالحة العدو، وبذل الذمة للعامة، وإقامة الحدود؛ أنها مختصة بالإمام، ومتعلقة به، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك إلا بولايته)[1].

ثم انتهى الأمر بهم إلى الإغارة على الموالين للملك في أكثر من موضع، فاضطر الملك لاستخدام القوة معهم، والتقى بهم في معركة «**السبلة**» التي هزمهم فيها وفرّق جموعهم، ثم توالت الأحداث

(١) الدرر السنية (٩/٩٥-٩٦)

إلى أن تمكن الملك عبد العزيز ﷺ من القضاء عليهم والقبض على زعمائهم، وبهذا انتهت هذه الحركة التي لعبت دوراً مهماً في توحيد المملكة، لكن انتهى الحال بها إلى الغلو والخروج عن حدود الشرع.

صدور مرسوم ملكي بتوحيد أرجاء المملكة العربية السعودية

ثم في سنة ١٣٥١هـ صدر مرسوم ملكي بتوحيد أرجاء المملكة جميعها، فأصبحت الدولة مملكة تحت اسم «**المملكة العربية السعودية**»، وأصبح عبد العزيز ﷺ يُلقب بـ «**الملك عبد العزيز**».

ولا تزال هذه الدولة بحمد الله باقية تنشر التوحيد في أرجاء المعمورة إلى يومنا هذا.

هذا موجز مختصر لتاريخ الدولة السعودية والدعوة النجدية بمراحلها الثلاث.

المطلب الثالث

خصوم الدعوة النجدية الإصلاحية والدولة السعودية

لقد كانت الخصومة شـــديدة بين هذه الدعـــوة المباركة والدولة الســـنّية العظيمة وبين أعدائها طيلة تاريخها، فـــكان العداء أولًا من أمراء بعض القبائل المشـــهورة والكبيرة في نجـــد، كما عادى الدولة أيضاً أمراء بعض الأقاليم لا ســـيما إمارة الحجـــاز التي كانت تحت حكم الأشراف التابعين للدولة العثمانية، وكذلك إمارة الإحساء التي كانت تحت حكم بنـــي خالد، وإمارة الرياض التي كانت من أشـــد الناس عداءً للدعوة.

كما عـــادى الدعوة أيضًا علـــماء مذهبيون منتســـبون إلى بعض مذاهب الأئمة الأربعة، وكان كثير منهم من علماء الضلالة.

وكان من هؤلاء العلماء من يعتقد صحة دعوة الشيخ، وأن ما دعا إليه حق، وهذا ثابت في كتب الشيخ ومراسلته لبعض هؤلاء، لكنهم لم يســـتطيعوا أن يصرحوا للنـــاس بضلال ما كانـــوا عليه من الشرك والبدعة، خوفاً من ملامة الناس لهم بأن يُقال لهم: أين أنتم عنا تلك الســـنين الطويلة؟! ولذلك نصبوا العداء لهذه الدعوة اســـتكبارًا عن الرجوع إلى الحق والاعتراف بالخطأ والتقصير.

الدولة العثمانية كانت من ألد الأعداء

ومن أكبر خصوم الدعـــوة: الدولة العثمانيـــة، وهي التي قضت على الدولة الســـعودية الأولى كما ســـبق، فكانت نداً وخصماً لهذه الدعوة المباركة.

وكانت الدولة العثمانية تسعى إلى طمس دعوة التوحيد، وإحياء معالم الشرك ومناراته، وهذا هو أساس الخصومة التي كانت بين أئمة الدعوة وخصومها، فقد كانت الخصومة منصبة على توحيد الله ﷻ، فأعداء الدعوة كانوا يرعون الشرك والقبور، ويجوّزون الاستغاثة بغير الله ﷻ وتأليه الأولياء، وينكرون على من يدعو الله وحده لا شريك له، ولذلك أعادت الدولة العثمانية مظاهر الشرك في الجزيرة، وأحيتها مرة أخرى في كل الأقاليم التي انتزعتها من الدولة.

هذا باختصار شيء يسير من تاريخ الدولة السعودية والدعوة النجدية.

الفصل الثاني

الدروس والعبر المستفادة من تاريخ الدعوة النجدية الإصلاحية

الدرس الأول
دعوة الشيخ ﷺ مثالٌ حيٌّ قريبٌ وتطبيقٌ عمليٌّ للدعوة السلفية

أول هذه الـدروس والعـبر هي: أن دعـوة الشـيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ مثالٌ حيٌّ قريب لا زلنا نعيشه إلى هذا الوقت، يبيّن الطريقة السـلفية في إصلاح الناس والمجتمعات والنهوض بالأمة، وهي الدعوة التـي تقوم على تحقيـق أصل الأصـول، فتقوم على تصحيح عقائد النـاس وتطهيرها بالدعوة إلى توحيـد الله، وتعظيم نصوص الكتاب والسنة، والتجرد للدَّليل، والبدء بالأصول، والعناية بإصلاح عامة الناس وكبرائهم، ويتدرجـون في الدعوة حتى يصلح الله ﷻ الأمة.

فلم تكن دعوتهم بعيدة عن واقع الأمة، قابعة في الزوايا، منشغلةً بالأوراد التي ما أنزل الله بها من سلطان كما هو حال المتصوّفة، ولم تكن بالدعوة المتعصبة المذهب تَدَعُ الدليل الثابت من أجل التقليد والتمذهب، كما لم تكن دعوة سياسـية تتسـترّ بالدين للوصول إلى

الحكم، وتشتغل بمنازعة الحُكام!! وإنما كانت دعوة تبدأ بإصلاح عقائد الناس ودينهم، بتعظيم الكتاب والسنة، وتعظيم الدَّليل، واتباع أثر السلف، وهذا الذي جعله الله ﷻ عنواناً للتمكين، كما في قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾.

فأعظم معروف جاءت به الأنبياء هو التوحيد، وأعظم منكر حذَّرت منه الأنبياء هو الشرك، فأعظم ما جاء به النبي ﷺ: التوحيد والسنة، وأعظم ما جاء بالتحذير منه: الشرك والبدعة.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾

فذكر الله التوحيد شرطاً للتمكين والاستخلاف، فلا يتم النهوض بالأمة إلا عبر هذا الطريق، عبر تطهير الاعتقاد وتجريد التوحيد لله تعالى، والدعوة إلى السّنة، ونشر العلم، وأن يُبدأ بعامة الناس قبل أمرائهم.

ومن يقرأ رسائل الشيخ ﵀ يعلم أنه لم يترك أحداً إلا دعاه وراسله؛ الحاكم والمحكوم، والعالم والجاهل.

مطلب

الأمور التي تميزت بها دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب

أولاً: اعتناؤها بأصل الأصول

اعتنى الشيخ بالدعوة إلى أصل الأصول؛ توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، والتحذير مما يضادّه من الشرك والمحدثات، ولذلك لم يشتغل الشيخ بمناقشة الناس ومصارعتهم في الأمور الفقهية، ولو كانت تُخالف الدليل أحياناً، وإنما اعتنى بأصل الأصول، بالتوحيد والسنَّة، وانصبت جلّ جهوده على ذلك.

الأمر الثاني: عنايتها بالدليل من الكتاب والسنّة والإجماع

فإنّها كانت دعوة مبنيّة على اتباع الدليل من الكتاب والسنّة والإجماع والقياس الصحيح، والبعد عن الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، وعن التعصّب المذهبي.

الأمر الثالث: وضوح القصد وظهور العبارة ملاءمة ذلك لحال المُخاطَب

كان الشيخ واضح القصد في دعوته، واضح العبارة، يكلم المُخاطب بما يلائمه، وكان يحرص على دعوة العوام وهدايتهم وتعليمهم، وله رسائل موجودة في الرسائل الشخصية يخاطب بعض العوام والأمراء باللغة العامية حتى يفهموا الدعوة، فكانت دعوته يفهمها كل أحد؛ الجاهل والمتعلم، وكتبه كُتبت بلغة لا يجهلها

العامي فضلاً عن العالم.

الأمر الرابع: جريانها على مقتضى الأصول الشرعية

كانت دعوة جارية على مقتضى الأصـــول والقواعد الشرعية مما جعلها سالمة من التناقض والتعارض.

الأمر الخامس: عمـــوم الدعوة على مـــا دل عليه حديث «الدين النصيحة»

فكانت الدعـــوة تدعو وفق ما أمر به النبـــي ﷺ في قوله: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمـــن؟ قـــال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]. فكانت ناصحة لله بالعقيدة الصحيحة وترك ما يضادّها، وللنبي ﷺ بتوقيره واتباع سنّته والذبّ عنها، ولأئمة المسلمين بلزوم السمع والطاعة، وبذل النصيحة، ولعامتهم بالدعوة والإرشاد والبيان مع الرفق والصبر.

الأمر السادس: وجود السيف الناصر من الأمراء

وجود النـــاصر من الأمراء من أكبر الأشـــياء التي ســـاهمت في نشر دعوته.

---

(١) رواه مسلم (٥٣/١)

الدرس الثاني

أثر نشر العلم في النهوض بالأمة، ومعرفة منزلة العالم فيها

دعوة الشيخ رحمه الله تُبين منزلة العالم في الأمة، وأن العالم الواحد يفعل ما لا تفعله الأحزاب والجماعات، بل ما لا يفعله الملايين من المسلمين، وبذلك نعرف حاجة الأمة إلى العلماء، وأن الأمة لا تنهض ولا يصلح حالها بغير العلم والعلماء، وأن تأثير العالم عظيم على الأمة ولو كان واحداً.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

ومع كونه لم يؤمن به إلا لوط عليه السلام وزوجته سارة، وصفه بكونه ﴿أُمَّةً﴾.

وهذه الدعوة والدولة المباركة قامت على يد الشيخ رحمه الله وحده، بمعنى أنه هو الذي دعا إلى ذلك، فدعا إلى تجريد التوحيد وتعظيم السنّة، وهو الذي حثَّ الأمير محمد بن سعود وآل سعود على نصرة

الدعوة، فنصروها وصبروا حتى أظهرهم الله، فأورثت دعوة هذا العالم الوحيد الفريد دولةً وعزاً وتمكيناً، وهيأ الله له أسباب ذلك، فوُجد الناصرون.

وهكذا كانت دعوة الأنبياء، فالنبي ﷺ قام وحده، والأنبياء قبله قاموا وحدهم، ولم يقوموا من خلال جماعة أو تنظيم سابق، حتى أظفرهم الله ﷻ ونصرهم على من عاداهم.

فالسبيل لإصلاح هذه الأمة لا يكون إلا بنشر العلم، وبثه بين الناس، ولا يكون إلا على يد العلماء، فلا يتولاه عموم الدعاة ولا أنصاف طلبة العلم، أو قليلو العلم، بل لا يتولى الدعوة والإصلاح إلا العلماء.

والتمكين لا يمكن أن يكون عبر التنظيمات الدعوية أو الأحزاب السياسية، أو الجماعات الحزبية، وما شابه ذلك كما يُروج له البعض، وإنما يكون عبر الرجوع إلى أصل الأصول، والاعتناء بالعلم، فإن الله تعالى ميّز نبيه ﷺ وفضله على العالمين -فوق ما ركبه فيه من الخصال- بالعلم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾.

أي: أنزل القرآن متضمناً علم الله، ولذلك فضل الله نبيه بالعلم.

قال ابن تيمية رحمه الله: (﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾، فتبين أن الذي تضمنه هو

علم الله لا علم غيره)[1].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قال السعدي: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ الذي هو العلم النافع، ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ الذي هو العمل الصالح)[2].

فلا ظهور للدين ولا نهوض للأمة إلا بالعلم النافع القائم على الدليل من الكتاب والسنّة، والعمل وفق هذا العلم.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (من عمل بغير علم كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح)[3].

فالأمة لا يمكن أن تنهض إلا بوجود العلم والعلماء، ولو تأملنا التاريخ وأردنا أن نسوق الشواهد التاريخية الدالة على أثر العلم في قيام الدول، وأثر الجهل في سقوطها، لطال بنا المقام، فالعالم الواحد يفعل في ساعة واحدة ما لا تفعله الجماعات في سنين، والكلمة الواحدة من العالم تبلغ ما لا تبلغه ترتيبات وتنظيمات الجماعات والأحزاب، وقد تعمل جماعة أو تنظيم سنين طويلة في الدعوة، ويأتي عالم واحد في ساعة واحدة يُنجز ويؤثر ما لم تعمله الأحزاب في سنين طويلة، وهذا مصداق ما أخبر الله ﷻ به في كتابه.

---

(١) «الرد على الإخنائي» ص٤٧٠

(٢) «تفسير السعدي»، سورة التوبة: آية ٣٣.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٣/٢)

فحاجة الأمة إلى العالم أعظم من حاجتها إلى التنظيمات، ومن هنا يكمن خطر بعض الناس الذين عظَّموا منزلة العمل التنظيمي الهرمي فوق منزلة العلم والعلماء، حتى عدّوا العمل الفردي خطراً على الدعوة!!

فتأمل! كيف قامت دعوة الشيخ؟ فإن الشيخ ﵀ لم يكن له تنظيم، فلم يؤسس عملاً دعوياً تنظيمياً على غرار تنظيم الجماعات والأحزاب، بل كان مشتغلاً بالعلم والتعليم تدريساً وتأليفاً ومراسلة، والناس ينتابونه ويتأثرون بدعوته، وهيأ الله له الأمير محمد بن سعود ﵀ فنصر دعوته فمكَّنه الله تعالى، والشيخ ﵀ دعا إلى الله ﷻ وترك أمور السياسة والدولة للحاكم، لكنه كان يُعين الحاكم وينصحه ويُشير عليه، فكان مستشاراً عالماً فقيهاً موجهاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ولم يكن سياسياً، ولا أنشأ حزباً أو تنظيماً، وإنما كان داعية إلى الله ﷻ.

وهكذا كان العلماء، فابن تيمية ﵀ لم ينشأ تنظيماً ولا كوّن جماعة، ومع ذلك علمه في الآفاق، ودعوته في كل مكان، وهكذا كان العلماء السابقون واللاحقون لم يدخل أحد منهم في تنظيم ولا جماعة ولا في شيء من هذه الأمور، وإنما كانوا يدعون إلى الكتاب والسنّة، ويتأثر الناس بدعوتهم، فالدعوة حقيقة تنبع من العلم.

ولا مانع من الاجتماع على طاعة الله، والتعاون على باب من أبواب الخير، لكن المهم أن يكون وفق الطريقة السلفية، وفق منهج

أهل الســـنة، على طريقة العلماء، وأن نرجـــع في كل أمورنا صغيرها وكبيرها إلى العلماء، فإذا كان العلماء هم الموجهين والمرشدين فلا بأس حينئذٍ أن نجتمع، أو أن نؤســـس مؤسسة رسمية تُعنى بباب من أبواب الخير، لكن المهم أن يكون قادتنـــا وموجهونا علماءنا، ومن هنا نعرف خطر بعض التنظيمات التي لا تعتني بالعلم ولا بنشره، ولا يوجهها العلماء.

الدرس الثالث

أهمية إصلاح العقائد، والبدء بما بدأ به الأنبياء من تصحيح التوحيد والعقيدة

لم يُقاتل الشيخ ﷺ إلا على أصل الإسلام ومبانيه العظام، فلم يدخل في أي خلاف فقهي مع العلماء آنذاك، ولو كان مخالفاً للدليل في رأيه، وإنما اعتنى بأصل الأصول، وتصحيح العقائد، وتطهيرها من الشركيات والبدع.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ: (وأما القتال، فلم يُقاتل الشيخ إلا على أصل الإسلام والتزام مبانيه العظام، ومن نقل عنه أنه قاتل على غير ذلك فقد كذب وافترى، على أن بعض العلماء يرى القتال على ترك بعض الواجبات فكيف بما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتهم)[1].

فاعتنى بإصلاح العقائد، لعلمه بأنه لا يصلحُ أمرُ الناس، ولا تصلحُ أخلاقهم وعباداتهم وأمورهم إلا إذا صلحت عقائدهم.

---

(١) مصباح الظلام ص٥٤

وهذه سـنّة الله ﷻ، فإن النبي ﷺ مكـث في مكة ثلاث عشرة سـنة يدعو إلى التوحيد قبل أن تنزل الفرائض، فاعتنى الرسـول ﷺ بإصلاح العقائد، فلما اسـتقر الإيمان في قلـوب الصحابة، وعظُم توحيدهم لله جاءت الفرائض بعدُ.

وهذا خـلاف ما عليه كثـير من الدعـوات اليـوم، والأحزاب والجماعات الإسلامية التي لا تقوم على هذا الأساس، ولا تُعير شأناً لهذا الأصل، فلا تدعو إلى التوحيد ولا إلى السـّنة، بل تجتمع على مناهج مخالفة لمنهج الأنبياء، فمنهم من يسـلك السياسـة، ومنهم من يسـلك الدعوة إلى الفضائـل، ومنهم من يسـعى للوصول إلى الحكم، وكلٌّ يدَّعي له طريقاً يظُن أنه يوصله إلى الحق الذي يريده، والنهوض بالأمة.

الدرس الرابع

أهمية الصبر في العلم والدعوة إليه في تحقيق المقاصد والظَّفر بالمطلوب

لا تقوم دعوة إلا بالصبر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾، ولا يكون فلاحٌ إلا بالصبر والمصابرة والرباط، وذلك بأن يحبس الإنسان نفسه على طاعة الله.

قال النبي ﷺ: «**مَا أُعطيَ أحدٌ عَطَاءً خيرٌ وأوسعُ من الصَّبر**»[1].

وقد رزق الله الشيخ رحمه الله صبراً عظيماً على كثرة ما ابتلي به، ومن تأمل سيرته عرف قدر ما حل به من البلاء العظيم، فقد أُوذي، وطُرد، وفعلت به الأفاعيل، وكاد أن يُقتل، وصدّه الناس وأمراء القبائل والنواحي، وما بقي أحدٌ إلا ويُعادي الشيخ آنذاك، ومع ذلك صبر ولم يُثن ذلك من عزمه شيئاً، حتى مكنه الله تعالى وأظفره. فالدعوة وطلب العلم يحتاجان إلى صبر ومصابرة، وأن يجاهد الإنسان نفسه.

---

(١) رواه البخاري (١٥١/٢) ومسلم (١٠٢/٣)

الدرس الخامس

تهيئة أسباب التمكين والنصر والتأييد بما ليس في حسبان الدعاة

فإن الشيخ رحمه الله لما عَظّم ربه وراقبه، وقام بما أمره الله به، موقناً بوعد الله لمن قام بهذا الدين بالنصر والظفر والتمكين عاجلاً أو آجلاً، هيأ الله له من الأسباب ما لم يكن في الحسبان، وهكذا كان مع الشيخ رحمه الله على الرغم من كثرة أعدائه ومعارضيه.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾، فالداعية إلى الله يأخذ بالأسباب المادية ولكنه لا يعتمد عليها، ولا يستعجل النتائج، بل يسلك الدرب الذي أمره الله ﷻ بسلوكه، وسيُهيئ الله له الأسباب، ويصرف عنه الموانع من حيث لا يحتسب.

فقد جرت على دعوة الشيخ رحمه الله أحداث جسيمة كادت أن تقضي عليها لولا أن قيض الله من الأسباب ما دفع شرها، وكف خطرها.

فمن ترقَّــب نتائج دعوته وتلَمَّســها واســتبطأ تحققها انصرفت همته، وانحرفــت جادته، وأما من نظر إلى الطريق الذي رســمه الله له، وصرف همته للثبات عليه، ولم يستعجل النتائج؛ حصّل مقصوده وإن لم تتحقق النتائج على يديه.

فعن ابن عبــاس ﷺ قال: خــرج علينا النبي ﷺ يومــاً، فقال: «**عرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمرّ معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده**»[1].

فهؤلاء أنبياء مؤيــدون بالوحــي، ومع ذلك لم يؤمــن بهم إلا القليل، ومنهم من لم يؤمــن به أحد، فالنتائج بيــد الله، وليس كثرة الأتباع دليــلًا على صحة الطريق، بل صحة الطريــق تُعرف بالدليل، وتكون باتباع طريق الأنبياء.

(١) رواه البخاري (١٣٧/١) واللفظ له، ومسلم (١٣٧/١)

الدرس السادس
معرفة أثر الدين في ثبات الدول وما يَعْقُبه من البركة في ذرية المصلحين

الدولة السعودية الأولى سقطت سنة ١٢٣٣هـ، وهُدمت «**الدرعية**»، ونُفي من بقي من آل سعود وآل الشيخ، ومع ذلك قامت الدولة من جديد في ظرف خمس سنين على يد تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود رحمه الله -على الرغم؛ وتأمل- من أن الجزيرة العربية قبلية، وبين القبائل من التناحر والتنازع الشيء الكثير، وهي أقاليم مختلفة: ففي جيزان وعسير قبائل، وفي نجد قبائل، وفي الأحساء قبائل، ومن طبيعة أهل البادية صعوبة اجتماعهم. ومع كل ذلك لما رجع تركي بن عبد الله اجتمع كل هؤلاء عليه، وبايعوه بالإمامة في ظرف سنين قليلة، وهذا يدل على أن الذي جمعهم هو الدين، فإنهم علموا أن آل سعود أنصار الدين، ورأوا أثر الدعوة في الدولة السعودية الأولى، فرأوا بركتها عليهم في أخلاقهم، وأعمالهم، وفي الأمن والعدل والمساواة وغير ذلك، وهذا يدل على أن الدين متى ما

قام كان من أكبر أسباب ثبات الدول.

وعلى الرغم من كثرة أعداء الدولة فـإن الله ﷻ مكَّن لها، وذبَّ عنها، ودفع عنها كيد الأعداء في أحداث كبـيرة، ولم تزل البركة في ذرية آل سـعود، وذرية آل الشـيخ إلى يومنا هذا، فلا يزال في ذرية الشيخ رحمه الله: العلماء والأئمة إلى عصرنا هذا، ولا يزال في ذرية محمد ابن سعود رحمه الله: العلماء والقادة والأئمة والملوك، وهذا من أثر الدين في تحقيق البركة في الذرية وفي ثبات الدول.

الدرس السابع

حاجة الدعوة إلى سيف السلطان
وأثر ذلك على الأمة جميعاً

قد هيَّأ الله للشيخ من ينصر دعوته، فصارت واقعاً ملموساً يعيشه الناس، فعمَّ خيرها، وظهرت بركتها في بلاد المسلمين.

وكما رُوي عن عمر وعثمان ﷺ أنهما قالا: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[1].

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٧٣/٥)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٩٨٨/٣)

الدرس الثامن

ثمرة الاجتماع ولزوم الجماعة ومجانبة الفرقة في قيام الدولة ونصرة الدين

من أكبر أسباب ظُهور الدولة اجتماع كلمتها، فقد كان العلماء كالشيخ وأحفاده ﷺ ملازمين للجماعة تحت راية أميرها محمد بن سعود وأبنائه ﷺ، وعلى فقه شيخها محمد بن عبد الوهاب ﷺ، فحصل لهم التمكين والظفر، وعمّ الخير وانتشر.

لكن لما ظهر التفرق والاختلاف في الدولة بين أبناء فيصل ابن تركي حصل الضعف، ووقعت أمور غير محمودة من الاقتتال والانشغال بالخلاف والصراع، فجرت بسبب ذلك أمور وطالت إلى أن سقطت الدولة، وتمكّن ابن رشيد من انتزاع الحكم، حتى جمع الله كلمة الدولة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ﷺ.

فالشَّاهد أن الاجتماع ولزوم الجماعة من أكبر أسباب ثبات الدول واستقرارها، كما أن التفرق والاختلاف من أكبر أسباب سُقوط الدول، وقد كان لعلماء الدعوة مواقف مُشَرِّفة وقت الخلاف والفتنة

والافتراق، حتى إنــه لما جرى مــن «**الإخوان**» ما جرى مــن النزاع والخروج عن الطاعة في عهد الملك عبد العزيز ﷺ، وبدأوا يقاتلون من غير مشــورته، وظهرت فيهم أقوال مخالفة للشرع وغلوٌّ ؛ تكلم علماء الدعوة آنذاك، وكتبوا في ذلك وأمروا بلزوم الجماعة، وحذروا «**الإخوان**» مــن مفارقة الجماعة، حتى جرى مــا جرى إلى أن تمكن الملك عبد العزيز ﷺ من إخماد تلك الفتنة.

فمن تأمل ســيرة علماء الدعوة يجد لهم أقوالاً مشرفة ومواقف عظيمة في الدعوة إلى اجتــماع الكلمة، ولزوم الجماعة، والســمع والطاعة، ومناصحة الحاكم سراً إذا ظهر منه ما يوجبها.

الدرس التاسع
آثار الدعوة العلمية على الأمة ولو فُقد مشايخها

الدعوة السلفية النجدية اليوم تنتشر في الآفاق، مع أن الشيخ ﵀ توفي سنة ١٢٠٦هـ، أي قبل أكثر من مئتي سنة، لكنه يعيش بيننا ﵀ بقلمه وعلمه، وهذه كتبه تُدرَّس ويُعتنى بها في جميع القارات، «**كتاب التوحيد**»، و«**الأصول الثلاثة**»، و«**القواعد الأربع**» وغيرها من كتبه ومؤلفاته، يدرسها العامي وطالب العلم.

فالشيخ ﵀ توفي منذ سنين طويلة، لكن لا تزال آثاره العلمية في كل مكان، في مشارق الأرض ومغاربها، على الرغم من أن دعوته قد حوربت من أناس كثيرين، وكُتِبَ في ذمِّه والتنفير عنه بالكذب والبهتان ما لم يُكتب في غيره، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يُظهر هذه الدعوة، وأن يَنشرها في مشارق الأرض ومغاربها.

وهذا هو أثر العلم، فقد مات ابن تيمية ﵀ مسجوناً، وكان قد سُجن سبع مرات، فهل انطمست آثاره؟ وهل استطاع أحد أن يكتم علمه؟ الجواب: لا، بل لا يزال الناس ينهلون من علومه إلى يومنا

هذا، ومن علوم ابن القيم ﷺ أيضاً وقد كان مسجوناً وقت وفاة شيخه ابن تيمية.

فهكذا العلماء، تموت أجسادهم وتبقى آثارهم العلمية.

أما الجماعات والأحزاب التي لم تُؤسس على منهج أهل السنّة والجماعة فإنها تموت وتخفى آثارها بموتها، ولا يبقى إلا ما خلَّفه العلماء.

قال أبو بكر بن عياش ﷺ: (أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم)[1].

فالجماعات التي لا تعتني بالعلم ونشره، وتكوين العلماء وإيجادهم، وإيجاد البيئة العلمية في أوساط المسلمين، فإنها لا تُثمر ما تُثمره الدعوة العلمية، ولا نعرف جماعة من الجماعات أخرجت عالماً مرجعاً للأمة، وإنما العلماء أخرجهم العلماء عبر حلقات العلم ودروسه، فإن العلم يُؤخذ من أفواه العلماء، لا من التنظيمات الدعوية والأحزاب، والعالم الواحد تبقى آثاره بعد حياته مئات السنين، بخلاف الجماعات التي مقاصدها وقتية وليست دائمة، تنشأ اليوم ثم تتآكل ويقضي بعضها على بعض حتى تنطمس آثارها، ما لم تخلِّف علماً نافعاً يبقى أثره في هذه الأمة.

(١) نقله ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٧٣/١٣)

الدرس العاشر

معرفة فضل الدولة السعودية على الأمة الإسلامية كلها

الدولة الســعودية لها فضل عظيم على جميع المسلمين في نشر التوحيد والســنّة، وبث العلم في الآفاق، ولم تأت دولة عبر التاريخ بعد دولة الخلفاء والدولة الأموية تعتني بنشر التوحيد والســنّة كهذه الدولة، وكل ما نَــرَاه اليوم من آثار هذه الدعوة في مشــارق الأرض ومغاربها وانتشــار دعاة التوحيد والسنّة هو بفضل الله ﷻ ثم بفضل هذه الدولة المباركة، فالجامعات التي أنشأتها الدولة السعودية ومن أعظمها «**الجامعة الإسلامية**» في المدينة النبوية كانت من أكبر أسباب انتشار التوحيد والسنّة في عامة بلاد الإسلام.

فللدولة الســعودية أثر عظيم وفضلٌ كبيرٌ على الأمة الإســلامية بأسرها، وهذا يُوجب معرفة حقها، والــذبَّ عنها، ونصرتها، والدعاء لها، والعلم بأن بقاءها من أكبر أسباب بقاء الحق بعد الله تعالى.

ونعــرف بذلك أيضــاً خطر من يســعى في تفريق هــذه الدولة وإسقاطها، وإثارة الفتن، أو التهوين من شأنها، بإبراز المعايب وستر

المحاسن العظيمة، وأنّ الدعاة الذين يسلكون هذا السبيل فإنهم وإن انتسبوا للدعوة السلفية إنما يســعون في طمس دعوة التوحيد والسنّة من حيث لا يشعرون.

الفصل الثالث

علماء الدعوة النجدية وخصومها

المبحث الأول

أبرز علماء الدعوة النجدية

المطلب الأول

أبرز علماء الدعوة في الدولة السعودية الأولى

مما يتعين الحديث عنه: ذكر أبرز علـــماء الدعوة النجدية، لأن القارئ في كتب أئمة الدعوة والموســـوعات التي جمعت رسائلهم يجد أســـماء علماء كثيريـــن من علـــماء الدعوة، فـــكان من المهم التعريف بأعلام الدعوة، وبيان شيء من سيرتهم.

وإنما نعني بعلماء الدعوة هنا: كلَّ من أَخَذَ العلم عن إمام الدعوة وتلاميذه وأولاده وأحفاده من أهل الجزيرة ونجد دون غيرها دون من تأثّر بهم وتبنّى دعوتهم لكنّه لم يتتلمذ عليهم.

ولن نستطيع في هذه الرسالة المختصرة أن نذكر جميع العلماء، لكن حسبنا أن نشير إلى أشهرهم[1].

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد وغيرهم» لعبد الرحمن بن عبد اللطيف، و«الدرر السنية» المجلد السادس عشر/قسم التراجم، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» لعبد الله البسام

۞ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

فممن يأتي بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ في المكانة والمنزلة ابنه الشيخ عبد الله ﵀، وكان علم الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انتقل إلى أبنائه، وإلى كثير من تلاميذه، وممن أخذ العلم عنه من أبنائه: حسين وحسن وعبد العزيز وعلي وعبد الله.

والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ﵀ من أشهرهم في العلم والمنزلة، وكان ممن نفاهم إبراهيم باشا إلى مصر بعد تخريب الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، وتوفي فيها سنة ١٢٤٢هـ، وكان آية في العلم والفهم، وله ترجمة حافلة في كتب التراجم، ورسائله مشهورة ومنشورة في مجاميع رسائل أئمة الدعوة.

ومن المشاهير أيضًا ابنه الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب ﵀، المتوفى سنة ١٢٢٠هـ، وله كتب ورسائل موجودة مبثوثة في مجاميع رسائل أئمة الدعوة.

۞ حمد بن ناصر بن معمر

من العلماء المشاهير في الدولة السعودية الأولى الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ﵀، وقد كان من الملازمين للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﵀، وأخذ عنه علمًا وفيرًا.

وكان ﵀ على رأس الوفد الذي ذهب إلى علماء مكة وبقية الحجاز لمناظرتهم في المسائل التي كانت محل خلاف بين علماء الدعوة وبينهم، وذلك في زمن الشريف غالب سنة ١٢١٢هـ، وكتب

أجوبة على ما سألوه عنه من مسائل في التوحيد.

وللشيخ حمد بن ناصر بن معمر رسائل كثيرة مفردة، ومبثوثة في المجاميع، وقد توفي الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله سنة ١٢٢٥هـ.

۞ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

من مشاهير علماء الدولة السعودية الأولى الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، صاحب كتاب «**تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**»، وقد توفي سنة ١٢٣٣هـ.

وكان قد أخذ العلم عن والده، وعن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وعن غيرهما، وله رسائل مهمة، منها رسالة «**الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك**»، كتبها عندما غزت القوات العثمانية والمصرية الجزيرة لقتال الدولة، فقام بعض أهل نجد بنصرتهم ومظاهرتهم على أهل التوحيد.

وقد قُتل الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على يد إبراهيم باشا لما اقتحم الدرعية بعد أن حاصرها، وقد أمر إبراهيم باشا حينها بعزف المعازف عندما أحضر الشيخ بين يديه، يريد بذلك إذلاله، ثم وَضَعه في وجه المدفع ورمى حتى مزقه أشلاءً، فقتل الشيخ رحمه الله فيما نحسبه شهيدًا إن شاء الله.

هؤلاء أشهر وأبرز علماء الدولة السعودية الأولى.

المطلب الثاني

أبرز علماء الدعوة في الدولة السعودية الثانية

۞ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

من أشهر علماء الدولة السعودية الثانية وأبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ، حفيد الإمام، وقد ولد سنة ١١٩٦هـ، وتوفي سنة ١٢٨٥هـ.

وقد أدرك الشيخ عبد الرحمن بن حسن جدَّه الإمام وأخذ عنه العلم، كما أخذه عن أعمامه أبناء الشيخ، كالشيخ حسين وحسن وعبد الله، وأخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيره.

كما استفاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ أيضًا من علماء مصر وجالسهم، لأنه كان ممن نُفي إلى مصر من آل الشيخ، إلى أن استطاع الرجوع والالتحاق بالدولة السعودية الثانية بعد تولي تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ﷺ الحكم وطرده للقوات العثمانية والمصرية، وصار الشيخ عبد الرحمن بن حسن من أكبر أئمة ومشايخ الدولة السعودية الثانية.

والشيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ علمٌ من الأعلام، وله كتب كثيرة مفردة، وردود كثيرة متنوعة، ورسائل محررة، وهو من أشهر وأعلم من أتى بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

۞ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن

يأتي بعده في المنزلة: الإمام الذي يُشبّه بشيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في زمانه، وهو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ﵀.

ويُعدّ الشيخ عبد اللطيف مع والده ﵀ من أبرز وأعلم علماء الدعوة بعد الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀، ومن قرأ كتب هذا الإمام عرف قدره ومنزلته، وعرف ما كان عليه من العلم الغزير، والفهم الثاقب السديد.

وقد ولد الشيخ عبد اللطيف ﵀ سنة ١٢٢٥هـ، وتوفي سنة ١٢٩٢هـ، وأخذ العلم عن والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وعن جده عبد الله بن الشيخ، وعن أعمامه، كما أخذ العلم عن علماء الأزهر مدة مقامه بمصر؛ فإنه مكث فترة أطول من فترة والده في مصر، فالتقى بكثير من علماء الأزهر، وقد ذكر ذلك عن نفسه، وكان منهم أسماء مشهورة، ولهذا برز في العلم حتى أنه كان يُعدّ أعلم أهل زمانه.

والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﵀ رجع إلى نجد في عهد الإمام فيصل بن تركي، أما رجوع والده الشيخ عبد الرحمن فكان في عهد الإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية، وكان ملازماً للإمام فيصل بن تركي، حتى كان يُعدّ مستشاره الخاص وأحد المقربين منه، وللشيخ عبد اللطيف مؤلفات

كثيرة كبيرة، منها: «**تحفة الطالب والجليس**»، و«**أصول التكفير**»، و«**منهاج التأسيس والتقديس**» في الرد على ابن جرجيس، و«**مصباح الظلام**» في الرد على ابن منصور، وغيرها من الكتب والرسائل، وكلها مطبوعة مشهورة.

۞ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين

ومن العلماء المشاهير في الدولة السعودية الثانية: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ﷺ، وكان يُلقب بمفتي الديار النجدية آنذاك.

والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ﷺ ولد سنة ١١٩٤هـ، وتوفي سنة ١٢٨٢هـ.

وأخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن عبد الله بن فراج الدوسري، وكان الدوسري من العلماء المشاهير آنذاك، كما أخذ العلم عن غير هؤلاء.

وكان الشيخ أبا بطين ﷺ آية في العلم، حتى لُقب بمفتي الديار النجدية، مع أنه لم يكن هناك منصب للإفتاء، لكنه لُقّب بذلك لكثرة علمه وغزارته، ورجوع كثير من الناس إلى فتياه.

وله رسائل ومؤلفات وردود عظيمة في تقرير التوحيد والردّ على شبهات أهل الشرك والزيغ والضلال، وهي مبثوثة في رسائل مفردة وضمن مجاميع رسائل أئمة الدعوة.

۞ حمد بن عتيق

من علماء الدولة السعودية الثانية المشاهير: الشيخ حمد بن عتيق ﷺ، المتوفى سنة ١٢٨١هـ.

وقد أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وعن ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، وعن غيرهما من العلماء، وله رسائل كثيرة مفردة ومجموعة، وكان علمًا من الأعلام وإماماً من أئمة ذلك الزمان، ومن رسائله «**سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك**».

۞ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

ومن علماء الدولة السعودية الثانية المشاهير: الشيخ إسحاق ابن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ، وهو أخو الشيخ عبد اللطيف، وقد ولد سنة ١٢٧٦هـ، وتوفي سنة ١٣١٩هـ.

وقد أخذ العلم عن أخيه الشيخ عبد اللطيف الذي كان أكبر منه، وعن الشيخ حمد بن عتيق، وغيرهما من العلماء ﷺ.

والشيخ إسحاق ﷺ رحل إلى الهند، وله قصة مشهورة في ذلك، وأخذ عن علمائهم من أهل الحديث آنذاك، وله رسائل ومؤلفات كثيرة، من تلك الرسائل: الرسالة المعنونة بـ «تكفير المعين»، وقد تكلم فيها عن تكفير المعين، وضابط الحجة، وشروط إقامتها، والفرق بين إقامة الحجة وفهمها، وضابط الإقامة بين أظهر المشركين، وغير ذلك من المسائل، وهي رسالة مهمة تُفسر كلام أئمة الدعوة.

المطلب الثالث

أبرز علماء الدعوة في الدولة السعودية الثالثة

۞ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن

أما علماء الدولة السعودية الثالثة الباقية إلى يومنا هذا، والتي نسأل الله ﷻ أن يُبقيها ذخرًا للإسلام والمسلمين، فمن أشهر علمائها: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ، الذي ولد سنة ١٢٦٥هـ، وتوفي سنة ١٣٣٩هـ.

وقد أخذ العلم عن والده العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن، وعن جده عبد الرحمن بن حسن، كما أخذ العلم أيضًا عن الشيخ حمد بن عتيق، وله كتب ورسائل ومؤلفات موجودة مبثوثة ضمن مجاميع الرسائل.

۞ سليمان بن سحمان

من العلماء المشاهير في الدولة السعودية الثالثة، والذي يُعتبر منجنيق أهل السّنة على أهل الشرك والبدعة، وصاحب الردود الغزيرة الكثيرة العظيمة في الدفاع عن التوحيد والدعوة: الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ.

والشيخ سليمان بن سحمان ﷺ كان علمًا من الأعلام، وأحد أعظم المنافحين عن هذه الدولة والدعوة المباركة، فقد

كانـت غالـب مؤلفاتـه في الـردود.

وقد ولد الشيخ سليمان بن سحمان ســنة ١٢٦٨هـ، وتوفي سنة ١٣٤٩هـ، وأخذ العلم عن الشــيخ عبد الرحمن بن حسن، وعن ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، وعن الشيخ حمد بن عتيق وغيره من العلماء.

واختص الشيخ سليمان بن ســحمان بالشيخ عبد اللطيف وأكثر من ملازمته، وقد جمع رسائل شــيخه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حســن وخدمه خدمة عظيمة في المجموع المعنــون بـ «**عيون الرسائل والمسائل**» المطبوع في مجلدين، جمعها وهذبها وبيّن سبب كل رسالة ومضمونها.

وللشيخ سليمان بن ســحمان رســائل كثيرة متنوعة، عامتها في الردود على أهل البدع وأهل الشرك وعــلى المخالفين عموماً، حتى اشــتهر ﷺ في باب الــردود، وكان لكتبه أثر نافع عظيم، لا ســيما في شرح كلام أئمة الدعوة وبيان مرادهم، وتفســير عباراتهم، فكتبه عظيمة النفع.

۞ سعد بن حمد بن عتيق

ومن العلماء المشاهير في الدولة السعودية الثالثة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ﷺ المتوفى ســنة ١٣٤٩هـ، وكان قد أخذ العلم عن والده حمد بن عتيق وعن غيره.

وقد رحل إلى الهند وأخذ عن علمائها، وكتب رســالة لطيفة في

رحلته، والتقى هناك بالشيخ صديق حسن خان ﷺ وكان من مشاهير علماء أهل الحديث في الهند، وكان مناصرًا للدعوة السلفية النجدية.

وله رسالة جميلة في الذبح عند وقوع الأمراض، بعنوان «**حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض**» بيّن فيها أن أصل هذا الفعل هو الذبح للجن، وله غير ذلك من الرسائل والفتاوى المبثوثة في كتب أئمة الدعوة.

۞ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ

من أعلام الدولة السعودية الثالثة: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ، وقد ولد سنة ١٣١١هـ، وتوفي سنة ١٣٨٩هـ.

والشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ أخذ العلم عن والده إبراهيم بن عبد اللطيف، وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وعن غيرهما من العلماء، وكان مفتيًا للمملكة العربية السعودية الثالثة، ولقّب بالمفتي العام.

وكان ﷺ علماً من الأعلام، وهو شيخ المشايخ: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن جبرين، والشيخ عبد الله بن غديان، رحمهم الله أجمعين، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ إذا ذكر مشايخه رأى الفضل العظيم للشيخ محمد بن

إبراهيم، بل إنه كان إذا ذكر سيرته يتأثر ويبكي، رحمهم الله تعالى أجمعين.

وللشيخ محمد بن إبراهيم رسائل وكتب كثيرة جُمعت في أكثر من ثلاثة عشر مجلدًا معنونة بـ «**مجموع رسائل وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم**»، جمعها الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم رحمه الله.

هذه نبذة مختصرة عن بعض أعلام الدعوة السلفية المباركة.

ولا يزال علماء المملكة العربية السعودية على هذا المنهج، وهم معروفون وبارزون على مستوى العالم، الأحياء منهم والأموات: كالشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، وغيرهم كثير، رحم الله الأموات، وحفظ الله الأحياء.

بقي أن نتكلم عن خصوم الدعوة.

المبحث الثاني

أبرز خصوم الدعوة

لماذا نتكلم عن أبرز خصوم الدعوة؟

السؤال المطروح: لماذا نحتاج إلى أن نتكلم عن أبرز أعداء الدعوة؟

الجواب: أن ذلك لأمور:

أولاً: لأن أسماءهم تتكرر وتُذكر في رسائل أئمة الدعوة، وهناك كتب مؤلفة في الردّ على بعضهم خاصة.

ثانياً: حتى يتبيّن لنا أن الداعي إلى الله ﷻ لا بد له من أعداء، وهذه سُنَّة الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، فكل نبي وكل متبع له لا بد أن يكون له أعداء لا يألون جهدًا في الصد عن سبيل الله.

ثالثاً: ليعرف الإنسان نعمة الله ﷻ عليه بتوفيقه وهدايته إلى قبول الحق في هذه الدعوة السلفية المباركة، وهذا من منن الله ﷻ، في الوقت الذي أضل آخرين قد يكونون أكثر علوماً منا.

وهذا أوان الشروع في ذكر خصوم الدعوة[1].

(١) انظر: «الدرر السنية» لابن قاسم، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» للبسام، و«الأعلام» للزركلي، و«السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد، و«مصباح الظلام» و«منهاج

المطلب الأول

أبرز خصوم الدعوة في الدولة السعودية الأولى

❁ عبد الله بن أحمد بن سحيم

من أشهر هؤلاء في بلاد نجد عبد الله بن أحمد بن سحيم، المتوفى سنة ١١٧٥هـ، فقد كان من ألدِّ أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ، وألف كتباً في الردّ على الدعوة، وخاصم وجادل.

❁ سليمان بن سحيم

من أكثر الناس بغضًا للدعوة وحنقًا عليها سليمان بن سحيم المتوفى سنة ١١٨١هـ، وكان شديد الخصومة والعداوة لدعوة الشيخ، وألّف في الردّ على الشيخ رسائل كثيرة، وكان يبعث إلى الأمصار؛ مصر والشام والعراق ونجد والإحساء والحجاز لينفّر عن دعوة الشيخ، ويحرض الناس عليه.

❁ عبد الله بن عيسى المويس

وهو من خصوم الدعوة المشاهير من أهل نجد، وقد توفي سنة ١١٧٥هـ، وكانت خصومته للشيخ ظاهرة، وقد تكلم عنه الشيخ ﷺ مرارًا في رسائله، وكان المويس يكاتب في الصدّ عن الدعوة، وقد ألّف وسافر ورحل إلى البلاد للتنفير والصدّ عن هذه الدعوة السلفية المباركة.

التأسيس» لعبد اللطيف بن عبد الرحمن، و«دعاوى المناوئين» لعبد العزيز العبد اللطيف، والكتب التي سبق الإشارة إليها في تاريخ الإمام والدعوة.

۞ سليمان بن عبد الوهاب

من أعداء الشيخ المشاهير آنذاك سليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ، المتوفى سنة ١٢٠٨هـ، وكان يكاتب النواحي والقرى للتنفير عن دعوة الشيخ، وإثارة الشبهات حول الدعوة، ويسعى سعياً حثيثاً في صدّ كل من تأثر بالدعوة من أهل النواحي.

وقد تأثر كثيرون برسائله، ومن هؤلاء أهل «**حريملاء**» وقد كانوا تبنوا الدعوة ودخلوا فيها، فكتب إليهم يُحذرهم من دعوة أخيه حتى استطاع أن يُثنيهم عن اتباع الدعوة، وكان ينتحل اتباع ابن تيمية ﷺ ويستدل على باطله ببعض كلامه ويضعه في غير موضعه، ويحرف معناه.

وقد كتب الشيخ ﷺ في الردّ على الشبهات التي أثارها أخوه سليمان في رسالته المعنونة بـ «**مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد**».

لكن الله ﷻ منّ على سليمان بن عبد الوهاب في آخر حياته؛ ورجع إلى الحق، والتحق بالدعوة في آخر عمره، وقصته في ذلك مشهورة.

۞ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق

من أعداء الدعوة: محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، وهو من أهل الإحساء، وقد توفي سنة ١١٦٤هـ، وكانت له جهود حثيثة في محاربة الدعوة والصدّ عنها، وقد وجّه

عـدة رسـائل للإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب تضمنـت أسـئلة تعجيزيـة - حسـب ظنـه- سـاقها بتهكّـم يريـد بذلـك توهـين أمـر الشـيخ، وكانـت أسـئلة في البلاغـة ولم تكـن في أصـول الديـن فلذلـك لم يكـن الجـواب عنهـا مـن واجبـات الديـن ولا أصولـه.

وقـد كاتـب ابـن عفالـق عثـمان بـن معمّـر أمـير «**العيينة**» يحرضـه عـلى الشـيخ ويشـككه في دعوتـه، سـاعياً في إقناعـه بـترك نـصرة الشـيخ، لكنـه خـاب وخـسر.

۞ محمد بن فيروز

من خصوم الدعـوة المشـاهير في الدولة السـعودية الأولى، وهو اسـم يتكرر في الرسـائل كثيراً: محمد بن فيروز، المتوفى سنة ١٢١٦هـ، وكان من الإحسـاء، وأصله من نجد، ووالده عبد الله ابن عمة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وقد ناهض دعوة الشيخ ﵀ أشـدّ مناهضة، وكان من المشنّعين على الدعوة، شديد المكر بالشيخ ﵀ وبأتباعه، وألف كتبًا كثيرة في الصدّ عن سبيل الله، وفي التنفير عن دعوة الشيخ ﵀.

وجميـع هـؤلاء والعيـاذ باللـه بقيـت آثارهـم السـيئة بعـد موتهـم، وأعـلى اللـه ﷻ شـأن الشـيخ ﵀ ونـصره اللـه نـصرًا مـؤزرًا، كـما هـي سُـنّة اللـه ﷻ في أوليائـه.

المطلب الثاني
أبرز خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثانية

۞ محمد بن علي بن سلوم

أما خصوم هذه الدعوة السلفية المباركة في الدولة السعودية الثانية، فمن أشهرهم: محمد بن علي بن سلوم، وهو من بلاد نجد، وقد توفي سنة ١٢٤٦هـ.

وابن سلوم كان تلميذًا لابن فيروز، ذاك العدو اللدود للشيخ ﷺ، وقد انتقل إلى البصرة ملتحقاً بشيخه؛ لأن ابن فيروز كان قد ترك نجداً بُغضًا لهذه الدعوة وذهب إلى البصرة، واشتغل هناك بالتأليف ضد الدعوة السلفية المباركة في الدولة السعودية الثانية.

۞ عثمان بن سند البصري

من خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثانية: عثمان بن سند البصري، وهو وإن كان بصرًيا إلا أنه من بلاد نجد، وقد توفي سنة ١٢٥٩هـ، وله كتب في الصدّ عن سبيل الله والتنفير عن هذه الدعوة السلفية المباركة.

۞ عثمان بن منصور

من مشاهير خصوم الدعوة: عثمان بن منصور، المتوفى سنة ١٢٨٢هـ، وكان في أول أمره يُظهر موافقة الدعوة وتبنيها، بل إن له شرحاً على كتاب «**التوحيد**» للإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم تحول

بعد ذلك إلى خصمٍ من خصوم الدعــوة، ونكص على عقبيه، وأخذ يثير الشبهات حولها.

ولعله كان يُبطــن في أول أمره خلاف ما كان يُظهــره، أو أنَّ الله أضلّه بعد الهداية، وصار بعد ذلك من أشد الناس عداءً للدعوة، وقد ألَّف كتبًا كثيرة في مناهضة الدعوة السلفية.

وردّ عليه كثيرون كالشــيخ عبد الرحمن بن حسن، كما ردّ عليه أيضاً الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ردّاً ماتعاً عظيماً في مجلد كبير بعنوان «**مصباح الظلام في الردّ على من كذب على الشيخ الإمام**»، وهو كتاب مليء بالفوائد والدرر والقواعد.

۞ أحمد بن زيني دحلان

من مشاهير خصوم الدعوة أحمد بن زيني دحلان، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، وهو من علماء الحجاز، وكان مفتي الشافعية في مكة.

وهذا الأفــاك كان يبــث الأكاذيــب والمفتريات ضــد الدعوة الســلفية، وضد مجدد الدعوة محمد بن عبــد الوهاب ﷺ، وألف رسائل كثيرة في الصدّ عن الدعوة.

وكان لابن دحــلان أثر كبير في الصدّ عن ســبيل الله، بســبب وجوده بمكة، فســاهم وجوده بها في رواج مفترياتــه وأكاذيبه على الدعوة، فــكان يبث ســمومه للحجاج والمعتمرين، ويشــوه صورة الدعوة بما يفتريه عليها، فيرجع الحجاج إلى بلادهم كارهين للشيخ

وللدعوة بما يروجه ابن دحلان، فكان أحد كبار المجرمين الصادين عن سبيل الله.

وقد ردّ عليه كثيرون، ومن أمتع الردود وأنفسها كتاب «**صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**» لمحمد بشير السهسواني المتوفى سنة ١٣٢٦هـ، وهو من علماء الهند، وكتابه مليء بالفوائد عظيم النفع، لا يستغني عنه طالب العلم.

۞ داود بن جرجيس البغدادي

من خصوم الدعوة المشاهير ومن خصومها المعاندين داود ابن جرجيس البغدادي العراقي، المتوفى سنة ١٢٩٩هـ، وكان شديد الخصومة لهذه الدعوة المباركة، وقد تلقى شيئًا من العلوم في نجد، فكان يُظهر الحنبلية والاتباع لابن تيمية وابن القيم، ويتخذ ذلك وسيلة للتلبيس على الناس باحتجاجه على ما يزعم من الضلال بكلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وبعد رجوعه إلى العراق أظهر العداوة للدعوة، وأخذ يسعى في الصدّ عن سبيل الله، بالمكاتبة والمراسلة والتأليف، زاعماً اتباعه لابن تيمية وابن القيم، فكان يراسل كثيراً من أهل نجد يُلبّس عليهم الحق ببعض كلام الشيخين، ويثير الشبهات حول الدعوة النجدية.

وقد ردّ عليه كثير من علماء الدعوة النجدية آنذاك، وبينوا زيف دعاواه وسوء فهمه وقصده؛ وممن كتب في الردّ عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في مجلد جميل،

كـما كتـب الشـيخ عبـد اللطيـف بـن عبـد الرحمـن بـن حسـن ردّيـن أحدهـما مختـصر وهـو «**تحفة الطالب والجليس في الردّ على ابن جرجيس**»، والآخـر مطـول بعنـوان «**منهاج التأسيس والتقديس في الرد على ابن جرجيس**» لكنـه لم يتمـه، فقـام محمـود بـن شـكري الألـوسي بإتمامـه، كـما ردّ عليـه أيضًـا الشـيخ عبـد اللـه أبا بطين في كتاب ماتع عظيم.

وكان لردود أئمـة الدعوة على هـذا الأفاك وغـيره نفع عظيم؛ إذ كشـفت ردودهم كثيراً من الشـبهات الذي أثارهـا ابن جرجيس وأصحابه، واستبان بها الحق وظهر.

قال السعدي ﷺ: (الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحاً وتميَّز وحصل به اليقين التام)[1].

(١) «تفسير السعدي» سورة البقرة، آية: ٢٥٢

المطلب الثالث

أبرز خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثالثة

۞ يوسف النبهاني

أما خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثالثة فمن أشهرهم يوسف النبهاني، وهو من أهل بيروت، وقد توفي سنة ١٣٥٠هـ، وكان ساعياً في الصدّ عن الدعوة بقلمه، فأخذ يُلبّس على الناس، وقد تولى الردّ عليه كثير من العلماء.

ومن أشهر من كتب في الردّ عليه الشيخ محمود بن شكري الألوسي العراقي حفيد الألوسي الكبير صاحب التفسير المشهور، وكان الألوسي من المناصرين لهذه الدعوة المباركة، وقد ألف كتابًا كبيراً عظيم النفع في الردّ على شبهات النبهاني بعنوان «**غاية الأماني في الرد على النبهاني**»، وهو كتاب نفيس مليء بالدرر، مدعوم بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

۞ يوسف الدجوي

من مشاهير خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثالثة: يوسف الدجوي المتوفى سنة ١٣٦٥هـ، وكان من علماء الأزهر، وله مقالات كثيرة في الطعن في عقيدة السلف وفي الدعوة السلفية النجدية التي يسميها «**الوهابية**» تشويهاً لها،

وقد تولى الردّ عليه كثيرون، منهم الشيخ محمد رشيد رضا في مجلته «**المنار**»، كما ردّ عليه محمود شكري الألوسي.

۞ حسين حلمي بن سعيد ايشيق صاحب مكتبة «الحقيقة»

من خصوم الدعوة المباركة رجل تركي اسمه حسين حلمي بن سعيد ايشيق، وهو صاحب مكتبة «**الحقيقة**»، وهي مكتبة مختصة بطباعة ونشر الكتب المعادية للدعوة السلفية التي كتبها خصوم الدعوة وملؤوها بالافتراءات والشبهات، كما كانت تنشر كتب التصوف والشرك والضلالة.

وكان يوزع مطبوعاته في الآفاق، وبالمجان، وبمختلف اللغات حقداً على الدعوة النجدية، وإمعاناً في الصدّ عنها.

ومع كثرة خصوم الدعوة وجهودهم في الصدّ عنها والتنفير منها، فإن أفعالهم وجهودهم بحمد الله تعالى لم تزد الحق إلا قوة، فبمثل أفعالهم يكشف الله الحق ويظهره ويُجلّيه، وهي سنّة الله ﷻ في تصارع الحق والباطل، والعاقبة كما ذكر الله ﷻ للمتقين، فمن اتقى الله ﷻ نجاه وعافاه، وكان من بركات دعوة الشيخ رحمه الله هذه الكتب الكثيرة، والمؤلفات العظيمة في بيان التوحيد وما يضادّه، وبها استبان الحق وظهر، وانكشف الباطل واندحر، فإنه لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ

يُحْشَرُونَ ﴾ ومن آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه الدولة السعودية المباركة التي قامت بنشر التوحيد في أرجاء العالم، حتى صرنا نحن بحمد الله ﷻ نرى أتباع هذه الدعوة السلفية المباركة في كل أنحاء العالم، لا تجد قطراً من الأقطار إلا فيه من أنصار هذه الدعوة وأتباعها من يقومون بنشر التوحيد والدعوة إليه، ومحاربة الشرك والتنفير منه، وهذا من فضل الله ﷻ أولاً، ثم ببركة دعوة الشيخ المجدد محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله.

الفصل الرابع

التعريف بكتب أئمة الدعوة وخصائصها

المبحث الأول
خصائص كتب أئمة الدعوة ومميزاتها

من المهم لطالب العلم أن يعتني بقراءة كتب أئمة الدعوة النجدية لكن لماذا؟ وما خصائص هذه الكتب؟

الجواب: أن رسائل أئمة الدعوة النجدية قد اختصت بخصائص كثيرة، وحوت فوائد وفرائد لا توجد في غيرها، تجعل من المهم لطالب العلم -لا سيما من وفّقه الله لتبنّي هذه الدعوة السلفية المباركة دعوة الأنبياء والمرسلين- أن يعتني ويحرص على قراءة هذه الكتب والرسائل، ليستفيد منها أموراً كثيرة.

وقد تميزت كتب أئمة الدعوة بأمور:

الأمر الأول: أنها من أنفس الكتب في تقرير التوحيد وبيان الشرك

كتب أئمة الدعوة من أنفس الكتب في تقرير التوحيد، والتحذير من الشرك، وفيها من بيان التوحيد وشرحه وذكر مسائله وفروعه

ودقائقه وبيان ما يضادّه من الشرك ووسائله ودقائقه ما ليس في غيرها.

كما أنها من أنفس ما كُتب في الولاء والبراء، وبيان المسائل المتعلقة بهذا الأصل العظيم وتطبيقاته، فقد تكلموا عن هذه المسائل بإسهاب، وفصّلوا فيها، وأحصوا صور ذلك وأنواعه وأقسامه وأحكامه، مستدلين بالكتاب والسنّة وأقوال سلف الأمة.

وهي من أنفس الكتب أيضاً فيما كُتب حول الخوارج ومسألة الخروج على الأئمة، ومسألة تقرير اتباع مذهب السلف وأئمة المذاهب المعتبرة كالأئمة الأربعة، وما كُتب حول حقوق العلماء ومنزلتهم، والإفادة من كتب التفاسير وشروح الأحاديث.

الأمر الثاني: أنها كتب تجيب عن الشبهات حول الشرك ووسائله

من نفيس ما في كتب أئمة الدعوة: الجواب عن شبهات المشركين التي يستندون إليها في تجويز الشرك ووسائله، وكذلك شبهاتهم حول مسائل الولاء والبراء؛ فإن أئمة الدعوة لما كانت دعوتهم منصبة حول بيان التوحيد ولوازمه وحقوقه، في وقت انتشرت فيه مظاهر الشرك، فقد أُوردت عليهم كثير من الشبهات التي يحتجّ بها المشركون وأهل البدع، فاحتاجوا إلى الجواب عنها وبيان ما فيها من الخطأ، فأثمرت تلك الأجوبة توضيحاً جلياً للتوحيد؛ إذ بضدها تتبين الأشياء، حتى غدت كتبهم

ورسـائلهم فريـدةً في هـذا الباب.

الأمر الثالث: أنها كتب قائمة على الاتباع لا الابتداع والتمذهب

كتب أئمة الدعوة كتب أئمة محققين، وأعلامٍ مشهورين، وعلماء متبعين لا مبتدعين ولا مذهبيين متعصبين، فهـي كتبٌ ألَّفها علماء عُرفوا بالاتباع لا الابتـداع، وبالتحقيق لا التقليـد، فلم يُعرف عنهم تعصبٌ مذهبي، ولا ابتداع عقدي أو عملي، فجاءت كتبهم كتباً مبنية على الدليل.

وهذا يعـم جميـع المسـائل الشرعيـة: العقديـة، والفقهية، والتاريخية، وغـير ذلك من الفنـون، على الرغم مـن أن المذهب السائد في نجد آنذاك هو المذهب الحنبلي، وكان عامتهم حنابلة من حيث الأصول، بَيْد أنهم كانوا متبعين للدليل معظمين له.

ورسائلهم في نبذ التعصب المذهبي، والنهي عن تقليد الرجال، والأمر باتبـاع الدليل وعدم اتخـاذ أولياء مع اللـه ﷻ كثيرةٌ، ولهم رسائل مفردة في هذا الأمر.

فهي كتبٌ تُعلِّـمُ وتُدَرِّبُ عـلى اتباع الدليـل، والحرص عليه، وتقديمه على الآراء والأذواق والسياسات والعقول والأفهام، وتأصل وتعزز في قارئها المنهج السـلفي القائم على تعظيم الدليل وتقديمه عـلى كل رأي يخالفه، فإنه مـن المعلوم وجود كتـبٍ كثيرة لبعض العلماء ممن انتفـع الناس بعلومهم، لكن قد يكـون فيهم شيء من

التعصب المذهبي، أو التقليد، وقد يكون عند بعضهم أخطاء عقدية، أما كتب أئمة الدعوة فقد سلمت من ذلك كله.

ومثلها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والأئمة المحققين ﷺ فإنها كتب مبنية على اتباع الدليل من الكتاب والسنّة وعمل سلف الأمة، وتقديمه على الآراء والاجتهادات.

الأمر الرابع: أنها كتبٌ يستفيد منها طالب العلم معرفة كيفية معالجة الواقع

على مقتضى الأدلة والقواعد والأصول يستفيد طالب العلم كيفية معالجة الواقع الذي يعيش فيه، فإن كتبهم تضمنّت تطبيقات عملية واقعية في مسائل كثيرة، وهو مما يحتاجه طالب العلم، لأن تنزيل الأحكام على الواقع يحتاج إلى فقه ودراية وفهم.

الأمر الخامس: أنها كتب عكف على دراستها العلماء الجهابذة

كتب أئمة الدعوة كتبٌ عكف على دراستها العلماء الجهابذة، وتتلمذ عليها الفطاحل منهم ممن أدركناه، من أمثال: الشيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وصالح الفوزان، وغيرهم من العلماء، فهؤلاء أئمة يُقتدى بهم، وهم من أعلام أهل السنّة والجماعة، كلهم تتلمذوا على كتب أئمة الدعوة النجدية، ونهلوا منها، ولذلك أوصوا بقراءتها ودراستها والاعتناء بها.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: (وهكذا أئمة الدعوة الإِسلامية في القرن الثاني عشر وما بعده كالشيخ الإِمام: محمد بن عبد الوهاب ﷺ وأبنائه وتلاميذه،...، وأتباعهم من أهل السنة، ومن أحسن ما أُلف في ذلك: «**فتح المجيد**»، وأصله «**تيسير العزيز الحميد**»، الأول للشيخ: عبد الرحمن بن حسن ﷺ ، والثاني للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ﷺ.

ومن أحسن ما جُمع في ذلك الأجزاء الأولى من «**الدرر السنية**» التي جمعها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم ﷺ، فإنه جمع فيها فتاوى أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم من علماء القرن الثاني عشر وما بعده في العقيدة والأحكام، فأنصح بقراءتها ومراجعتها وغيرها من كتب علماء السنّة لما في ذلك من الفائدة العظيمة.

ومن ذلك «**مجموعة الرسائل الأولى**» لأئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم ﷺ، وردود المشايخ: الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشيخ عبد الله أبا بطين، والشيخ سليمان بن سحمان، وغيرهم من أئمة الهدى وأنصار التوحيد لما فيها من الفائدة وإزالة الشبه الكثيرة، والردّ على أهلها رحمهم الله جميعًا رحمة واسعة، وأسكنهم فسيح جناته وجعلنا من أتباعهم بإحسان)[1].

وقال في موضع آخر: (أئمة الدعوة، مثل: محمد بن

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٦٣/٧)

عبد الوهـــاب، ومن ســـار في دعوته، ونـــصر دعوته، وألَّـــف فيها، هم أيضاً جديـــرون بالعناية، يجب أن يُعتنـــى بكتبهم، وما قرروه في توحيـــد العبادة، وفي الردّ عـــلى أهل البدع، وفي نصر الســـنَّة، فلهم في هذا حظ وافر، ونصيب عظيم رحمة اللـــه عليهم،...، فالحاصل أن هؤلاء الأخيار مـــن أولى الناس بـــأن يُعتنى بكتبهـــم وما قرروه من أدلة)[1].

وقال الشـــيخ العثيمين ﷺ: (كتب علماء الدعـــوة ومن أجمعها «**الدرر السنية**» قد جُمع فيها لكل شـــيخ ما كتبـــه، أو أجاب عنه، أو أجاب عليه من أســـئلة، وجمعت على وجه آخـــر مرتبة على أبواب الفقه والعقائد، وهي نافعة جداً فيها رســـائل صغـــيرة، وفيها أجوبة كثيرة نافعة)[2].

ونحن ســـائرون على الـــدرب الذي ســـار عليه هـــؤلاء العلماء الجهابذة فلا نرغـــب عن طريقهم، ولا نطلب ســـواه، لأنه طريق قد استبانت أعلامه، وظهرت دلالاته، فهو طريق الاتباع وتعظيم الدليل.

الأمر السادس: أنها تُفسر بعض الإجمالات في كلام الأئمة

كتب أئمة الدعوة فسّرت كلام الأئمة المحققين كالإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم ﷺ، وأوضحت كثيراً

(١) الدرس الحادي عشر من الدروس المفرغة للشيخ ابن باز في موقع الشبكة الإسلامية على الشبكة العنكبوتية www.islamweb.net

(٢) شرح «حلية طالب العلم» ص٢٨١

من إجمالاتهم في بعض المواضع، والتي قد حُملت على غير مرادهم، وهذا كثيرٌ في كتب أئمة الدعوة تجدهم يفسرون بعض كلام المتقدمين، ويشرحونه، ويبينون معناه.

فكم يختلف طلبة العلم في بيان مراد شيخ الإسلام في بعض مواضع كلامه، وفي تفسير بعض عبارته، مثل مسألة منزلة العمل من الإيمان، وغيرها من المسائل التي يختلف طلبة العلم في تفسير كلام الأئمة فيها، فتجد الواحد منهم يستدل ببعض كلام ابن تيمية على مسألة، فيعارضه الآخر بكلام آخر له يدل - بحسب برأيه- على نقيض الأول، وهذا يكثر وقوعه، والأمثلة عليه كثيرة.

فكتب أئمة الدعوة تُعدّ كتب تفسير لبعض كلام الأئمة المحققين، تُبيّن ما أجمل في بعض مواضع كلامهم، وتخصص بعض عموماتهم، وتقيد بعض إطلاقاتهم، وهذا أمر يحتاجه طالب العلم، حتى يصح فهمه للمسائل، ويحسن تصوره لها.

كثير من المناهضين للدعوة النجدية يُلبّس على الناس بانتسابه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية

وكان بعض من يعارض الدعوة من أعدائها المناهضين لها ينتحل اتباع الإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فكان يُلبّس على الناس في بعض مواضع كلام هؤلاء الأئمة.

ومن أشهر هؤلاء سليمان بن عبد الوهاب، وداود بن جرجيس، وعثمان بن منصور، وغيرهم، فإنهم كانوا ينسبون أقوالهم المبتدعة لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ﷺ محتجين ببعض مواضع كلامهما مما حملوه على غير محمله، وفهموه على غير مراده تلبيساً

على الناس، فردّ عليهم أئمة الدعوة، وبينوا مراد هؤلاء الأئمة، وشرحوا كلامهم، وأوضحوا مرادهم.

وهذا الأمر لا يزال يقع إلى يومنا هذا، فتجد بعض المعارضين لدعوة التوحيد، يستدلون على باطلهم بكلام ابن تيمية في بعض المواضع، بل وبكلام إمام الدعوة أحياناً.

كتب أئمة الدعوة تُفسر وتشرح كلام الأئمة ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب

فالشاهد أن كتب أئمة الدعوة هي كتب تفسيرٍ لكلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم ﷺ، وكذلك كلام كبار أئمة الدعوة المتقدمين، فكم استدل أُناس بكلام الإمام محمد بن عبد الوهاب على خلاف الحق، مثل استدلالهم برسالته إلى شريف مكة في أول الدعوة، والتي قال فيها: (وإذا كنا لا نُكفِّر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم؛ فكيف نُكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يُكَفِّر ويقاتل)، فكانوا يستدلون بكلامه هذا على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يحكم بالشرك على من وقع فيه جهلاً، بل هو عنده مسلم معذور لجهله، وهذا الموضع قد استدل به بعض خصوم الدعوة قديماً ليدفعوا الشرك عن عباد القبور، فأجاب عن هذا كثير من أئمة الدعوة، وبيّنوا مراد الشيخ ﷺ، كالشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد الله أبا بطين، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، وأخيه إسحاق، والشيخ سليمان بن سحمان، كل هؤلاء أجابوا على هذه الشبهة،

وبيّنوا مراد الشـــيخ، وأنه قال ذلك في أوّل الدعـــوة، وكان من قبيل التدرج معهم، فلـــم يحكم بكفرهم، لكن لم يحكم بإســـلامهم، بل هم من أهل الفترة، وذلك بسبب انتشـــار الجهل الكبير آنذاك وخفاء معالم الرسالة، وهذا قبل انتشار دعوته، ففي حكم الدنيا هم مشركون لأن الحكم فيها على الظاهر، وفي الآخرة يُمتحنون.

ولهذا نقول: نحن نحتاج إلى قراءة كتب أئمة الدعوة؛ لأنها تبين كثيرًا من هذه الأمور، فهي كتب تفسيرٍ لكلام الأئمة المحققين، وهذا من منافع كتب أئمة الدعوة ﷺ العظيمة.

الأمر السابع: أنها كتبٌ تاريخية حافلة بالأخبار والوقائع

كتب أئمة الدعوة تُعدّ كتب تاريخٍ للدعوة، فإن كثيرًا من رسائلهم أرَّخت لكثير من الوقائع المهمة، وهذا مهمٌّ لطالب العلم؛ لأن معرفة سبب التصنيف يعين على فهم مراد المؤلف.

فكم اســـتدل الزائغون عن الحق ممن يُكفِّرون المسلمين ببعض الذنوب بل ببعض الجائز أو الواجب ببعـــض كلام أئمة الدعوة، مع جهلهم بالوقائـــع التي كُتبت الرســـائل لأجلها وبســـببها، وهذا يقع كثيراً، فتراهم يقتطعون بعض عبـــارات أئمة الدعوة ويحكمون بالردة على أفعـــالٍ لا تبلغ الردة، كبعض المســـائل المتعلقـــة بالتعامل مع المشركين، أو موالاتهم، فيعدونها مظاهرة موجبة للردة.

قال الشـــيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حســـن ﷺ: (وإن

كانت الكتب موجودة فهي لا تغني ما لم يساعدهم التوفيق، وتؤخذ المعاني والحدود والأحكام من عالم رباني، كما قيل:

والجهـــل داء قاتـــل، وشفـــاؤه

أمـــران فـــي الـــتركـيب متفـقـــان

نـــص مـــن القـــرآن أو مـــن سنـــة

وطـبـيـب ذاك العـــالم الربـــاني)[1].

وقال الشـيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقـري ﷺ: (الواجب عليكم التبصر، وأخذ العلم عن أهله، وأمـا أخذكم العلم من مجرد أفهامكم، أو من الكتب، فهذا غير نافع، ولأن العلم لا يتلقى إلا من مظانه وأهله)[2].

فمن المهم لطالب العلم معرفة الوقائع والأحوال التي كتبت فيها تلك الرسائل، واتخذت بسببها تلك المواقف.

وبسبب الجهل بتلك الوقائع والحوادث، وعدم الاطلاع على ما كتبه أئمة الدعوة حولها مبيّنين حقيقة ما جرى، فإننا لا نزال نسـمع من يتهم كتب أئمة الدعوة بالغلو في التكفير، مسـتندين إلى بعض ما جاء في كتبهم من الحكم بالـردة على أناس وقعوا في نواقض من نواقض الإسـلام، ولو راجع هذا المتهم المتجـرئ على كتب أئمة الدعوة لتبيّنت له حقيقـة تلك الوقائع والحـوادث، ولتصور الواقع على حقيقته، وحينها سيعلم الأسـباب الموجبة للحكم بالردة على

(١) الدرر السنية (٢٦٨/٨)

(٢) الدرر السنية (١٥٩/٩)

أولئك. وسيأتي الجواب على هذه الدعوى في الفصل الخامس.

فهي إذاً كتب تاريخية مهمة لحقبة جرت فيها حوادث جسيمة.

الأمر الثامن: أن الدعوة النجدية تمُثّل تطبيقياً واقعياً للطريقة السلفية في الإصلاح، وكتبهم موضّحة لهذه الطريقة

الدعوة النجدية تمثل تجربةً علمية واقعية توضح الطريقة السلفية لإصلاح الأمة الإسلامية، وهذه قضية مهمة.

فإن كثيراً من الجماعات الإسلامية اليوم يقولون للدعاة السلفيين: إنَّ دعوتكم مثالية غير واقعية، فإنكم تهتمون بالعلم ونشره، وتصحيح العقائد، وتدَّعون أن ذلك هو طريق الإصلاح فحسب، وبه تصلح أحوال الحاكم والمحكوم، وهذا طريق طويل أولاً، ونظري غير واقعي ثانياً.

ويقولون: بينما الواقعية أن نبدأ بالرأس - أي: الحاكم- فنصلحه، أو نزيله؛ إما بالثورة أو الخروج أو عبر الوسائل السياسية المعاصرة أو بغير ذلك.

فهم يتهمون الطريقة السلفية لإصلاح الأمة الإسلامية بأنها طريقةٌ مثالية غير قابلةٍ للتطبيق.

فنقول لهم: إن الدعوة السلفية النجدية مثالٌ حيٌّ قريب يؤكد صحة الطريقة السلفية، ويوضح بأنها طريقة عملية واقعية ينصر

الله ﷻ بهـــا الدين، ويُصلـــح بها أحـــوال الأمة الإســـلامية؛ إذ من المعلوم أن هذه الدعوة بدأت مـــن «**الدرعية**»، وهي قرية صغيرة من قرى نجد، وفي أقل من خمسين سنة من عقد البيعة المباركة تمكنت هذه القرية الصغيرة من حكم عامة الجزيـــرة العربية كنجد والحجاز والإحســـاء، حتى وصلت قواتها إلى حوران في الشام، وإلى حدود البصرة في العراق، وذلك على الرغم من كـــثرة خصومها، وتفوقهم العســـكري، ومع ذلك نصرهم الله على أعدائهـــم، ومكَّنهم من بلاد المناوئين لهم، والســـبب في ذلك: قيامهم بأمـــر التوحيد ومحاربة الشرك، والدعوة إلى السنّة والتحذير من البدعة.

وفي وقت قصـــير أصلح الله ﷻ أحوال النـــاس، وتغيرت البدع وحلَّ محلَّها الســـنن، وزالت معالم الشرك، وعلـــت رايات التوحيد خفاقة، وانتشر الأمن في أركان الجزيرة، وعمَّ الخير أرجاءها.

قال الشوكاني في وصف آثار الدعوة: (فإن صاحب نجد - يعني الأمير عبد العزيز بن محمد بن ســـعود- تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة - أي الشريف غالب بن مساعد-، فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز، ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإســـلام، ودخل في طاعته من عرب الشـــام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شـــيئاً، ولا يقومون بشيء

من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشـــهادتين على ما في لفظهم بها من عوج، وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها)[1].

فكتب أئمة الدعوة تـــراثٌ عظيمٌ لتلك الحقبـــة، ولتلك التجربة الحيـــة الواقعية لصحة الطريقة الســـلفية، وأنها دعـــوةٌ قابلةٌ للتطبيق ليست دعوة مثالية.

ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

فهذا وعد من الله ﷻ بنصرة من أقام التوحيد ونصره ودعا إليه، وحارب الشرك ونهى عنه.

والشـــواهد من تاريخ الدعوة عـــلى نصرة اللـــه لأوليائه وحزبه الموحدين كثيرة.

واللـــه ﷻ ينـــصر دينـــه بمـــا لا يحتســـبه الناس، قـــال ﷻ: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾، فجند الله ﷻ لا عدَّ

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٦/٢)

لها، ولا يحيط بها الإنسان.

الأمر التاسع: أنها كتب علماء عاملين ومجاهدين

كتب أئمة الدعوة كتبُ علماء عاملين بعلمهم، مجاهدين صابرين، جاهدوا في سبيل الله ﷻ وصبروا، وابتُلوا وأوذوا في سبيله، حتى قُتل من قتل منهم، فهي كتب خرجت من أُناس أقاموا الدين حقًا، فكان فيها من البركة ما ليس في غيرها من الكتب.

الأمر العاشر: أنها كتب تربية على العلم والإيمان واليقين

كتب أئمة الدعوة تربّي طالب العلم على كيفية الاستدلال، وتعرّفه بمصدر التلقّي، وعدم القول بما لم يُسبق إليه، كما تربّيه على اليقين بمدلولات النصوص، والثقة بموعود الله، وتعلّمه الصبر على ما يناله الداعية في دعوته، والرفق مع الناس، والاحتساب في ذلك، وعدم اليأس مما يلقى الداعية من صدود وابتلاء، فهي كتبٌ تربوية إيمانية.

فهذه الأسباب وغيرها تجعل لقراءة كتب أئمة الدعوة أهمية خاصة.

المبحث الثاني
التعريف بكتب أئمة الدعوة

يمكن تقسيم كتب أئمة الدعوة المطبوعة قسمين رئيسين:

القسم الأول: كتب مفردة مستقلة

منها ما هو في الفقه، والأصول، والسيرة، والآداب، وبعضها مشهور متداول ما بين مختصر ومتوسط ومطول، ومنها مختصرات لكتب علماء سابقين، وكثيرٌ من مؤلفاتهم ردود على أهل الباطل، ودفاعٌ عن التوحيد والسنّة.

فمن كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب نفسه: «**كتاب التوحيد**» و«**أصول الإيمان**»، و«**كشف الشبهات**»، و«**مفيد المستفيد**» وغيرها.

ومن مختصراته: «**مختصر السيرة**»، و«**مختصر زاد المعاد**» وغيرها.

وأما كتب تلاميذ الإمام وأولاده وأحفاده فكثيرة: منها «**فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد**» لعبد الرحمن بن حسن، و«**الاجتهاد والتقليد**» لحمد بن ناصر بن معمر، وكثيرٌ منها ردود على أهل الباطل، فمن الردود المختصرة: كتاب «**القول الفصل النفيس**

في الرد على المفتري داود بن جرجيس» لعبد الرحمن بن حسن، و«**تحفة الطالب والجليس في الرد على ابن جرجيس**» لعبد اللطيف بن عبد الرحمن، و«**حكم تكفير المعين**» لإسحاق بن عبد الرحمن، و«**الضياء الشارق**» و«**كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام**» لسليمان بن سحمان، وغيرها كثير.

ومن الردود الكبار: كتاب «**منهاج التأسيس والتقديس في الرد على ابن جرجيس**»، و«**مصباح الظلام في الرد على من افترى على الإمام**» لعبد اللطيف بن عبد الرحمن، و«**الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية**» لسليمان بن سحمان، وغيرها من الكتب الكثيرة المطبوعة مفردة.

القسم الثاني: مجاميع تحوي رسائل كثيرة

إما لأئمة متعددين من أئمة الدعوة، أو لإمام واحد، وتسمى بالمجموعات، وهذه كثيرة.

«تاريخ نجد» لحسين بن غنام

ويُعد «**تاريخ ابن غنام**» من أوائل المصادر في الدعوة، وقد جمع كثيراً من كتب ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ وبعض تلاميذه الكبار؛ ويقع التاريخ في مجلدين؛ الأول منه في ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد نقل فيه بعض رسائله بطولها وذكر بعض فوائده، ككتاب «**كشف الشبهات**» و«**مفيد المستفيد**»،

وغيرهما، كما نقل كثـيًرا من رسـائله التي أرسـلها في الآفاق إلى العلماء والحكام والعوام وغيرهم، توضيحاً للدعوة ودعوة إليها، أو جوابًا لشبهة وردت عليه، أو نصيحة للناس عامة ونحو ذلك.

كما ذكر ابن غنـام كثيراً من الأحداث التي جـرت آنذاك، ونقل بعض المناظرات التي وقعت حول الدعوة.

فالشاهد أن «**تاريخ ابن غنام**» يُعدّ من أوائل هذه المجموعات.

«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» أوسع وأول مجموعة

ومنها: «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**»، وهـو مـن أشـهر المجاميع، ويقع في خمسـة مجلدات كبيرة، وهو أوسـع المجاميع القديمة، ففيه رسائل كثير من أئمة الدعوة النجدية.

وقد قام بجمعها بعض علماء نجد، وأكثر هذه الرسـائل جمعها المشـايخ: محمد بن عبد اللطيف، وسليمان بن سحمان، وعبد الله ابن عبد العزيز العنقري.

فقاموا بجمع عامة رسـائل أئمة الدعوة النجدية بدءاً من الإمام محمد بن عبـد الوهاب ﷺ وانتهـاءً بأواخر هـؤلاء العلماء، مثل: الشـيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وحمد بن عتيق، وعبد الله أبا بطين.

والمجموع يحوي رسـائل كثيرة لأئمة الدعوة، منها رسـائل في العقيدة، وفي التوحيد، وفي الفقه، وأصول الفقه، ومنها أجوبة مسائل وفتيا صغيرة وطويلة ومختصرة.

وقد طُبع هذا المجموع في مطبعة المنار التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا ﵀ في مصر، في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

وبعض هذه الرسائل يوجد في حاشيتها بعض تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا ﵀، الذي كان مناصراً للدعوة، ومحبًا لها، ومدافعًا عنها، وله كتاب جميل بعنوان «**الوهابيون والحجاز**»، كما أنه انتصر للدعوة في مجلته «**المنار**» في مقالات كثيرة.

على أن بعض أئمة الدعوة المتأخرين قد انتقد محمد رشيد رضا على بعض حواشيه، فإنه قد يذكر في بعض تعليقاته ما يخالف كلام أئمة الدعوة، وربما صرف الكلام عن ظاهره أحياناً، وممن ردّ على عليه في بعض حواشيه: الشيخ سليمان بن سحمان، وله أكثر من جواب وانتقاد لمحمد رشيد رضا على بعض تعليقاته.

لكن «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**» تحتاج إلى:

١-الترتيب والتهذيب، ولعل السبب في ذلك أنها لم تُجمع في وقت واحد، بل على فترات، فجاءت غير مرتبة.

٢-تعيين بعض أسماء الرسائل المبهمة.

ويحوي المجموع نفسه مجاميع أخرى، كمجموع رسائل حمد بن ناصر بن معمر، ورسائل عبد الرحمن بن حسن، ورسائل عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين.

«مجموعة التوحيد»

أما المجموع الثالث فهو «**مجموعة التوحيد**»، ويقع في مجلد، وقد جُمع هذا المجموع أيضًا في عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن، وشمل على أهم الرسائل في التوحيد، كبعض رسائل إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وبعض تلاميذه كالشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيره.

والغرض من هذا المجموع الصغير نشره وتوزيعه في مختلف البلدان الإسلامية.

موسوعة «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»

المجموع الرابع، وهو أوسع المجاميع وأهمها: «**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**»، وقد جمعها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله.

وابن قاسم أراد أن يجمع كل رسائل أئمة الدعوة في موضع واحد؛ سواء المطبوعة في «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**»، أوالمخطوطة التي لم يسبق طباعتها، ليكون المجموع شاملاً لرسائل جميع أئمة الدعوة، فبلغ المجموع ستة عشر مجلداً، هذبها ورتبها، فبدأ بمجلد التوحيد، ثم مجلد الأسماء والصفات، ثم الفقه في المجلد الرابع والخامس والسادس والسابع، ثم الجهاد وأحكام الردة في المجلد الثامن والتاسع والعاشر، ثم التفسير، ثم مختصر الردود، إلى أن ختمها

بمجلد التراجم.

فجاء المجموع مرتباً ترتيبًا جميلاً، حتى صار المرجع الأول لرسائل ومسائل أئمة الدعوة النجدية.

وقد قرأ ابن قاسم المجموع على كثير من المشايخ، منهم: محمد بن عبد اللطيف، وسعد بن حمد بن عتيق، وعبد الله بن عبد العزيز العنقري، ومحمد بن إبراهيم.

وحاول ابن قاسم أن يُثبت الرسائل كما هي بألفاظها من غير تصرف ولا اختصار، وإنما رتبها بحسب وفيات أصحابها، فتراه يبدأ في كل فنٍّ برسائل محمد بن عبد الوهاب، ثم بالشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وهكذا، يرتبها حسب وفاة مؤلفيها.

أمَّا ما يتعلق بالفقه فإنه رتب الرسائل والمسائل على الأبواب الفقهية، بغض النظر عن مؤلفيها، فبدأ بالطهارة، ثم الصلاة، ثم الزكاة، وهكذا، ثم أعقبه بأصول الفقه، وكذلك الأجوبة على الأسئلة، تجده يقول: وقال فلان: كذا، وقال فلان: كذا، وإذا وجد جواباً ولم يكن له سؤال وضع السؤال من عنده.

أمَّا باقي الفنون فأبقاها كما هي بألفاظها، ولم يغير من ترتيبها شيئاً، حتى إنه أثبت الكلمات العامية، وربما أصلحها حتى تكون مفهومة.

ولم يُثبت ابن قاسم في «**الدرر السنية**» الكتب المشهورة المتداولة بين أيدي الطلبة، ككتاب «**التوحيد**»، و«**كشف الشبهات**»،

و«**فضل الإسلام**» ونحوها، وذلك لشهرتها وكثرة تداولها بين الطلبة وفي أيدي الناس، وإنما اكتفى بذكر الكتب غير المشهورة.

كما أنه لم يذكر كتب الردود الكبار المفردة، مثل: «**مصباح الظلام**»، و«**منهاج التأسيس**» وغيرها من كتب الردود الكبار، وإنما اكتفى بذكر الردود المختصرة.

وعموماً لم يَفُت ابن قاسم من رسائل أئمة الدعوة إلا القليل.

مجموعة «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل»

المجموع الخامس هو المعروف بـ «**عيون الرسائل والأجوبة على المسائل**»، وهو مجموع في رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ المختصرة فقط دون الكبيرة.

وقد جمع هذا المجموع المختصر تلميذه: الشيخ سليمان ابن سحمان.

وعامة ما في المجموع موجود في المجلد الثالث من «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**».

ويمتاز هذا المجموع بأن الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ قبل أن يورد رسالة شيخه يذكر على نحو مختصر نبذة عن الرسالة ومضمونها وسبب تأليفها، وقد يُعلّق عليها، وربما أضاف بعض الأمور، وأوضح بعض العبارات، ولا شك أن هذا مفيد جدًا في فهم كلام الشيخ عبد اللطيف ومعرفة مقصوده ومراده.

«مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب»

المجموع السادس هو المجموع المعروف بـ«**مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب**»

وقد قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود، ويهدف إلى جمع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كلها في موضع واحد، حتى بلغ أحد عشر مجلداً.

وقد حوى المجموع رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية، ومؤلفاته العلمية، والمختصرات التي قد اختصر فيها بعض الكتب المشهورة.

واستُلّ كثير منه من «**تاريخ ابن غنام**»، و«**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**»، و«**الدرر السنية**»، وفيه رسائل أخذت من بعض المخطوطات.

وقد حوى المجموع مجموعة الحديث للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهي موسوعة كبيرة في أحاديث الأحكام.

كما حوى مختصرات الإمام، مثل: «**مختصر الإنصاف والشرح الكبير**»، و«**مختصر زاد المعاد**»، و«**مختصر سيرة النبي** ﷺ»، كما حوى الفوائد التي استلها الإمام محمد بن عبد الوهاب من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

مجموعة «فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله»

المجموع السابع هو: «**فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن**

إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ»، وهو من جمع الشـيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ﷺ جامع «**الدرر السنية**»، وكان ملازماً للشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ، فقام بجمع رسـائل شيخه محمد بن إبراهيم مفتي المملكة بأمرٍ ملكي من الملك فيصل بن عبد العزيز.

وقد حـاول ابن قاسـم جمع كل مـا وقف عليه مـن مؤلفات ورسـائل وفتاوى الشـيخ محمد بـن إبراهيم ﷺ، حتـى إنه ذكر بعض الفوائد التي قيدها أثناء الطلب من دروس الشـيخ محمد بن إبراهيم ﷺ، كما أثبت ما أخذه من فتاوى الشـيخ مـن دار الإفتاء، ودار القضاء، حتى بلغ المجموع ثلاثة عشر مجلداً.

مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ

المجموع الثامن والأخير «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز**»، وقد تم هذا المجموع بعد توالي الرغبات الكثيرة لجمع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ وذلك لأهميتها، فوافق الشـيخ على ذلك وأسـند الجمع للدكتور محمد الشـويعر، فقام بهذا الجمع ورتبه ترتيباً جيداً بدأ فيه بالعقيدة وما يتعلق بها من مسائل الدعوة، ثم بالفقه.

وقد حاول الشـويعر جمع ما أمكن من فتاوى ورسائل الشيخ، وضمَّنه كثيراً من محاضرات الشـيخ ودروسـه المفرغـة، حتى بلغ المجموع ثلاثين مجلداً.

ولم يشمل المجموع فتاوى الشـيخ ابن باز ﷺ في برنامج «**نور**

على الدرب»، فإنها طبعت مفردة بعد ذلك.

وهذ المجموع له أهمية خاصة، لأنــه مجموع إمامٍ عاش الواقع المعاصر، والذي جدّت فيه كثير من التغيرات الاجتماعية والسياسية والدولية والمعلوماتية.

وهناك مجاميع أخرى جُمعت متأخراً، مثل مجموع الشيخ حافظ الحكمي، والشيخ عبد الرحمن الســعدي، والشيخ محمد العثيمين، وغيرها، وإنما أشرت إلى الأقدم والأشهر منها.

الفصل الخامس

الجواب على أشهر الشبهات التي أثيرت حول الدعوة

المبحث الأول

الطوائف التي تعمدت تشويه صورة الدعوة وإمامها

لقد نال الدعوة النجدية السلفية وإمامها تشويهٌ عظيمٌ، يهدف في كثير من الأحيان إلى التنفير عنها، والتأليب ضدها.

ومصدر هذا التشويه أربع طوائف:

الطائفة الأولى: أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين

عامة الكفار يعلمون أنّ دعوة الشيخ رحمه الله هي دعوة النبي ﷺ، وهي دعوة الإسلام الصحيح المحض السالم من شوائب الشرك ولوثات البدع، وهم لا يريدون أن ينتشر الإسلام الصحيح، بل يريدون إسلاماً مزيفاً محرَّفاً.

وتاريخ هؤلاء الأعداء حافل بنصرة وإعانة وإمداد الطوائف الباطنية والمبتدعة وكل النحل المخالفة للحق وللكتاب والسُنة، ولذلك حاولوا تشويه دعوة الشيخ رحمه الله لأنها تصادم أطماعهم وتخالف اعتقاداتهم.

من ذلك ما جاء في «**دائرة المعارف الإسلامية**»[1]: (وكذلك يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون، وأن سائر المسلمين مشركون وأنهم هم أنفسهم المكلفون بإحياء السنّة، وهم يرون أن السنّة القديمة وشخصية النبي وجوهر الإسلام تبعاً لذلك قد شُوِّهت بسبب تقديس الأولياء، وهم من أجل ذلك يهاجمون أكثر أماكن الإسلام قداسة عند أهل السنّة وعند الشيعة؛ لأن هذه الأماكن تعتبر في نظرهم معاقل لعبادة الأوثان)[2].

الطائفة الثانية: أهل البدع والضلالات

فأصحاب الجماعات والفرق والنحل والملل التي تنتسب للإسلام يُغيظهم انتشار دعوة التوحيد؛ الدعوة إلى الكتاب والسُنّة، القائمة على تعظيم الدليل؛ لأن دينهم قائم على البدع والمحدثات، فإذا أتاهم من يُنكر بدعهم أو شركهم غضبوا؛ وهؤلاء عادوا الشيخ ﷺ وأثاروا حوله تلك الشبهات لأن دعوته جاءت لمحاربة ما هم عليه من البدع والضلالات.

الطائفة الثالثة: جهالٌ أغمار أتباع كل ناعق

وهؤلاء يُصدّقون ما يفتريه خصوم الدعوة من أهل البدع والكفار من غير تمحيص ولا تثبّت، كبعض الصحفيين والكتّاب، ومنهم من

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق، وهذا يرجع لأسباب متعددة، منها: العدد الكبير من أساطين المستشرقين المساهمين فيها، وكبر حجمها، وتنوع المعارف فيها، واستمرارية إخراجها، وتعدد لغاتها حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك، وتعد بحق خلاصة الفكر الاستشراقي، لذا لا يستغني عنها أي باحث في علم الاستشراق.

(٢) الدائرة الأولى ٢١٧/١٣، شرك، بيركمان

يُعظّم الغربيين أعداء الله إلى درجة أن يجعــل كلامهم أقرب للحق من كلام المسلم الذي قد عُرف بالعلم والتقوى والدين.

الطائفـة الرابعـة: طائفة شـوهت صـورة الشـيخ ﷺ والدعوة والدولـة لعـداءٍ شـخصيٍّ للدولة السـعودية.

فإن بعض الناس يكره الجزيرة وأهلها، لا سيما المملكة العربية الســعودية، وقد يكون سبب ذلك الحســد، وهؤلاء مارسوا التشويه للدعوة والدولة لا لأمرٍ متعلق بالدين، بل لأمرٍ شخصيٍّ أو سياسي، لكنه يلزم منه التنفير عن الدين.

المبحث الثاني
دعوى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم

من أكبر الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب: دعوى تكفيرها للمسلمين واستحلال دمائهم، وهي من أوائل ما نال الدعوة من التشويه والتنفير، ولذلك اعتنى الإمام محمد بن عبد الوهاب بالردّ عليها والجواب عنها، وكذلك علماء الدعوة بعده.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب مبرئاً نفسه من هذه الفرية: (وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنّا نُكفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنّا نُكفِّر من لم يُكفِّر، ومن لم يقاتِل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدّون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نُكفِّر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما، لأجل جهلهم وعدم من يُنبِّهُهُم، فكيف نُكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا؟!، أو لم يُكفِّر ويقاتِل؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم)[1].

وقال أيضاً: (وأما التكفير فأنا أُكَفِّر من عَرَف دين الرسول ﷺ، ثم بعد ما عَرَفه سبَّه ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أُكفّر، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك)[2].

فالشيخ رحمه الله لم يكفّر إلا من أجمع المسلمون على تكفيره، ولم يكفِّر بشيءٍ مختلفٍ فيه حتى لو كان يُرجّح التكفير به، فلم يشتغل بتكفير تارك الصلاة مثلًا، وإنما اعتنى بما أجمع المسلمون على التكفير به، كالشرك بالله، وسّب الله ورسوله، أو الاستهزاء بدين الله، ونحو ذلك، كما أنه لا يحكم بالكفر على من قام به إلا بعد قيام الحجة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله مُبيّناً منهج إمام الدعوة: (لا يُكفِّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله، من الشرك الأكبر والكفر بآيات الله ورسله أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر، كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله، وجعلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية)[3].

وقال أيضاً: (وأما القتال، فلم يُقاتل - أي: الإمام محمد بن عبد الوهاب- إلا على أصل الإسلام والتزام مبانيه العظام، ومن نقل عنه أنه قاتل على غير ذلك فقد كذب وافترى، على أن بعض العلماء

(١) الدرر السنية (١/١٠٣-١٠٤)
(٢) الدرر السنية (١/٧٣)
(٣) الدرر السنية (١/٤٦٨)

يرى القتال على ترك بعض الواجبات؛ فكيف بما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها)[1].

المطلب الأول

سبب هذه التهمة يعود إلى أمرين:

الأول: قصد التنفير عن الدعوة، وتشويه صورتها من قبل أعدائها؛ السياسيين، والشرعيين، والعوام المقلدة.

الثاني: جهل كثيرٍ من الناس بحقيقة التوحيد، وبمعنى «**لا إله إلا الله**»، وعدم معرفتهم حقيقة العبادة التي هي محض حق الله، وذلك بسبب غلبة الجهل وعدم العلم بآثار الرسالة، فكانوا لا يعرفون من التوحيد إلا الربوبية، فانتشرت مظاهر الشرك في العبادة، فلما جاء الشيخ ﷺ ببيان حقيقة التوحيد، وتفسير «**لا إله إلا الله**»، وبيان أن معناها: لا معبود بحق إلا الله، وبيان ما يضاد ذلك من الشرك بالله في العبادة، كالذبح للأموات، ودعائهم، والنذر لهم، ونحو ذلك من أنواع العبادة التي هي محض حق الله، صاح الناس به واتهموه بتكفير المسلمين، وهم يعنون بالمسلمين عبّاد القبور والأولياء.

وقد اعتنى الشيخ ﷺ ببيان حقيقة التوحيد، وتوضيح الشرك، ونَقَل من نصوص العلماء من المذاهب الأربعة ما يشهد لكلامه ويؤكده، ليتّضح للناس بأنه لم يأت بشيء جديد، وبأنه لا يُكفّر إلا بما أجمع العلماء من المذاهب الأربعة وغيرها على التكفير به.

---

(١) مصباح الظلام ص٥٤

لا يُنسب إلى الدعوة وأئمتها أخطاء بعض المنتسبين إليها

نعم قد يقع من بعض المنتسبين للدعوة من الجهال ما فيه غُلُوٌّ في التكفير فيكفّر بما ليس بكفر، كما وقع في عهد الشيخ رحمه الله وبعد عهده وإلى يومنا هذا، لكن لا يعني هذا جواز نسبة غلوٍّ من غلا من الجهلة إلى الشيخ ولا إلى الدعوة، بل يُنسب إلى من فعل ذلك، وأما الدعوة فلا يُنسب إليها إلا ما قاله إمامها ودعا إليه، أو ما قاله أئمة الدعوة ورؤساؤها.

وقد وقع من بعض الصحابة رضي الله عنهم أشياء من هذا القبيل، فقتلوا من لا يستحق القتل، وكفّروا من لا يستحق التكفير متأولين في ذلك، ومن ذلك ما وقع من خالد بن الوليد رضي الله عنه.

فقد روى البخاري[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يومٌ أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يده، فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**» مرتين.

فخالد بن الوليد قتل هؤلاء متأولاً؛ إذ ظنَّ أن قولهم: صبأنا، لا يعني دخولهم في الإسلام، وهم إنما قالوا ذلك قاصدين الإسلام، لكونهم لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا بسبب جهلهم، فتبرأ

(١) (٢٠٣/٥)

النبي ﷺ من فعل خالد رضي الله عنه، ولم يكن خطأ خالدٍ في التأويل منسوباً إلى دعوة النبي ﷺ.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله في الردّ على بعض ما نُسب إلى الشيخ بفعل بعض المنتسبين إليه: (نسبة هذا إلى الشيخ من أوضح الكذب وأظهره، وإن أخطأ بعض أتباعه فخطأ التابع فيما يختص بـه لا يقدح في متبوعـه، وكم أخطأ مخطئ مـن هذه الأمة وغيرها من أتباع المشـايخ والأئمة، بل وأتباع الرسل، وقد قال ﷺ: «**اللَّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**» لما بلغه ما فعل ببني جذيمة)[1].

وقال الشـيخ عبد الرحمن بن حسـن رحمه الله بعـد أن بيّن مذهب الخوارج: (فإذا تبين لك ذلك، تبين لك: ضـلال كثير من أهل هذه الأزمنة، في زعمهم: أن الشـيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأتباعه خوارج، ومذهبُهم مخالفٌ لمذهب الخـوارج؛ لأنهم يوالون جميع أصحاب رسـول اللـه ﷺ، ويعتقـدون فضلهم على مـن بعدهم، ويوجبون اتباعهـم، ويدعون لهـم، ويضللون من قـدح فيهم، أو تنقص أحداً منهم، ولا يكفّرون بالذنوب، ولا يخرجون أصحابها من الإسـلام، إنما يكفّرون من أشرك بالله، أو حسّن الشرك؛ والمشرك: كافر بالكتاب والسنة والإجماع، فكيف يُجعل هؤلاء مثل أولئك؟!.

وإنما يقول ذلـك معانِدٌ يقصـد التنفير للعامـة؛ أو يقول ذلك جاهل بمذهب الخوارج، ويقول تقليداً؛ ولو قدّرنا أن إنساناً يقع منه

(١) مصباح الظلام ص٢٥٨-٢٥٩

جراءة وجسرة على إطلاق الكفر جهلاً منه؛ فلا يجوز أن يُنسب إلى جميع الطائفة، وإنما يُنسب إليهم ما يقوله شيخهم وعلماؤهم بعده، وهذا أمر ظاهرٌ للمنصف، وأما المعاند المتعصب فلا حيلة فيه)[1].

وهذا أمرٌ لا يمكن الاحتراز منه، لكـّن الواجب على أهل العلم تخطئة المخطئ والتـبرؤ من فعله، وهذا مـا كان يفعله أئمة الدعوة كلما حصل شيء من هذا الغلو.

وكلمات أئمة الدعوة في ردِّ غلـّو الغالين كثيرة، من ذلك ما قاله الشـيخ عبد اللطيف ﷺ ردًّا على بعض الغلاة الذي ينسبون غلوهم للإمام محمد بن عبد الوهاب: (وقد رأيت سـنة أربع وستين رجلين من أشباهكم المارقين بالأحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة، وكفّرا من في تلك البلاد من المسـلمين، وحجّتهم مـن جنس حجتكم؛ يقولون: أهل الأحسـاء يجالسـون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يَكفُر بالطاغـوت، ولم يُصرّح بتكفير جده الـذي ردّ دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها.

قالا: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر باللـه لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسـه فهو مثلـه، ورتّبوا عـلى هاتين المقدمتـين الكاذبتين الضالتين ما يترتب على الردة الصريحـة من الأحكام، حتى تركوا رد السلام، فرُفع إليّ أمرهم، فأحضرتهم وتهدَّدتُهم وأغلظت لهم القول، فزعموا أولاً: أنهم على عقيدة الشـيخ محمد بـن عبد الوهاب، وأن

(١) الدرر السنية (٣٦٢/١)

رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يُكفّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها، بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر، كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله، وجعلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية)[1].

من الإفك والبهتان نسبة الغلوِّ والتطرُّف إلى الدعوة السلفية لمجرد خطأ بعض التنظيمات المتطرِّفة في فهم بعض عبارات أئمة الدعوة وهو أمر لم يزل يقع

ومثل هذا يقع اليوم من بعض التنظيمات والجماعات الغالية التي تُكفِّر المسلمين وتستحل دماءهم، ناسبين منهجهم إلى أئمة الدعوة، مثل «**تنظيم القاعدة**» و«**تنظيم الدولة الإسلامية**» المعروفَيْنِ بـ«**داعش**» و«**جبهة النصرة**» وغيرهما كثير.

وسبب الخلل عند هؤلاء أمران:

الأول: انتماؤهم المباشر وغير المباشر إلى بعض الأحزاب والجماعات المخالفة لأصول الدعوة السلفية، كجماعة «**الإخوان المسلمين**»، و«**حزب التحرير**»، ونحوهما.

الثاني: الجهل بمقاصد الكلام، وعدم الرجوع إلى العلماء واستيضاح المعاني منهم.

وهم أيضاً صنفان:

منهم أقوامٌ دسيسة يتخذون الانتساب إلى الدعوة وسيلة لجذب القلوب والتأثير على العامة، ويتقون بذلك نفرة الناس عنهم.

---

(١) الدرر السنية (١/٤٦٧-٤٦٨)

ومنهم هو قومٌ محبّون لدعوة التوحيد، ومناصرون لها، حسنةٌ نواياهم، لكنّهم جهلوا فأخطأوا، وتكلموا قبل أن يتأهلوا ويتعلموا ويتفقّهوا.

ومن صور ذلك أيضاً ما وقع من حركة «**الإخوان**» حيث نسبوا غلوهم إلى الدعوة مستندين -بحسب زعمهم- إلى بعض مواضع كلام أئمة الدعوة الذي قصرت أفهامهم عن تصوّره ومعرفة مقصوده بسبب جهلهم، فكَتَبَ كل من: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، وعبد الله بن عبد العزيز العنقري ﷺ رسالة، جاء فيها: (فأما من تعلَّق بظواهر ألفاظ من كلام العلماء المحققين، ولم يعرضها على العلماء، بل يعتمد على فهمه، وربما قال: حجتنا مجموعة التوحيد، أو كلام العالم الفلاني، وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام، فإن هذا جهل وضلال)[1].

فخطأ من أخطأ - إن وقع- إنما يتحمله التابع لا المتبوع، فلا يجوز إضافة أخطاء الجهلة والغلاة ومن يدّعون الانتساب إلى الدعوة زوراً وبهتاناً إلى الدعوة.

ومنهج أئمة الدعوة على نقيض منهج التنظيمات الجهادية الخارجية الغالية، بل كتبهم مملوءة بالردّ على هذه الجماعات الخارجية وأفكارها المنحرفة، وكلماتهم في ذلك كثيرة.

فدعوى نسبة غلوِّ الجماعات الخارجية إلى الدعوة النجدية من

(١) الدرر السنية (١٣٣/٩)

أبطل الباطل، والدعاوى إذا لم يكن عليها بينات فأصحابها أدعياء.

وقد وافق هؤلاء المفترين المتَّهمين للدعوة بالغلوِّ بعضُ المتعالمين ممن يُظهر الانتساب إلى السنّة -دعوى لا حقيقة-، فرمى الدعوة النجدية السلفية بالغلوّ؛ إما تصريحاً أو تلميحاً، وتتابعت أبواق الجهلة في نشر هذه الفرية وإلصاق هذه التهمة بالدعوة، حتى قال قائلهم عن تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بـ «**داعش**» بأنه نبتة سلفية، وفرح بذلك الكفار، وطار بها العلمانيون والليبراليون أفراخ الغرب وأذنابهم، حتى صار الغلوّ عند هؤلاء منسوباً إلى الدعوة السلفية لا إلى هؤلاء الجهلة من الخوارج، ولم يفرِّقوا بين الحقيقة والانتساب.

وهؤلاء جعلوا تهمة الغلوّ والتطرّف ثابتة على الدعوة النجدية ومشايخها وكتبها بمجرد دعوى الغلاة الخوارج وانتسابهم زوراً وبهتاناً للدعوة واحتجاجهم بكلام أئمتها مما لم يفهموه ولم يعرفوا مقصوده، وهذه دعاوى مجردة بلا بيّنة ولا برهان.

فعجباً، كيف ترك هؤلاء كتب أئمة الدعوة الكثيرة المتنوعة والمبيّنة لمنهج الدعوة وأئمتها في هذه المسائل، على كثرته، وأعرضوا عنها، ثم ألصقوا التهمة بمجرد دعاوى الكذّابين؟!

لعمر الله إنه الهوى والجهل!!.

قال الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ لمثل هؤلاء الغلاة الذين ينسبون منهجهم في تكفير المسلمين إلى الدعوة، ويحتجون عليه

بكلام بعض أئمتها: (فيقال لهـؤلاء الصعافقة الحمقى الذين لا علم لهـم ولا معرفة لديهـم بحقائق الأمـور ومدارك الأحـكام، الذين يقرءون على الناس كلام شـيخ الإسـلام محمد بن عبـد الوهاب، وهم لا يفهمون مواقـع الخطاب وتوقيع الأمور عـلى ما هي عليه، حيث يقول قائلهم: نعم، هذا قول الشيخ في البدو، والمشايخ اليوم يقولون ويقولون.

فيقال لهم: إن كلام شـيخ الإسـلام الذي تقرءونـه على الناس في قوم كفار ليس معهم من الإسـلام شيء، وذلـك قبل أن يدخلوا الإسـلام، ويلتزموا شرائعه، وينقـادوا لأمره، وينزجـروا عن زواجره ونواهيه، وأما بعد دخولهم في الإسـلام فلا يقول ذلك فيهم إلا من هو أضل من حمار أهله وأقلهم دينـاً وورعاً، ومقالته هذه أخبث من مقالة الخوارج الذين يُكفرّون بالذنوب...)[1].

ثم شرع ﷺ يـشرح كلام أئمة الدعـوة الذي احتـج به هؤلاء الغلاة، ويُبيّن مقصودهم فيه.

وعلماء الدعـوة لا زالوا وإلى يومنا هذا ينكـرون على الخوارج والتكفيريين وغيرهم ممن انتحل تكفير المسلمين واستباحة دمائهم باسـم الجهاد، وباسـم الدعوة. ولهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء بيانات كثيرة حول هذه المواضيع.

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» ص٢٠

المطلب الثاني

اتهام الدعــوة بالغلو من بعــض الدعاة بســبب التكفير بمظاهرة المشركين

ودعوى وجــود الغلوِّ في كتــب أئمة الدعوة قــد يطلقها بعض المنتسبين إلى السنّة من الدعاة، ممن قصر باعهم في العلم، فتراهم يدّعون وجود الغلو بســبب حكم أئمة الدعوة عــلى منازعي الدولة والدعوة بالكفر، كالحكم بالكفر على العساكر التركية التي اجتاحت نجد ومن عاونهــم وظاهرهم، وكالحكم على بعــض أمراء النواحي ممن كانوا ينازعون الدولة ويقاتلونها.

ويذكرون مــن أمثلة هذا الغلو تســمية ابن غنــام وابن بشر في تواريخهــما المخالفــين للدولة بالمشركــين، فتراهما يُعـبّران عن المنازعين بالمشركين، فيقولان: «**غزا المسلمون المشركين**».

خصوم الدعوة الذين وصفهم أئمة الدعوة بالشرك والكفر طائفتان

الدعوة طائفتان:

الأولى: طائفة مشركة اتخذوا الأنداد والأولياء شركاء مع الله في العبادة، وهو أمر قد عمّ وطمّ في الجزيرة آنذاك كما ســبقت الإشارة إليه، وهؤلاء لا شك في وصفهم بالشرك لوقوعهم فيه وامتناعهم عن التوحيد وإصرارهم على ما هم عليه حتى قاتلوا على ذلك.

الثانيــة: طائفــة لم تقع في الــشرك بعبــادة الأنــداد والأولياء،

لكنّها لم تتبرأ من الشرك، بل أظهرت الرضى بما عليه أقوامهم من الشرك، أو ظاهرت المشركين ونصرتهم على الموحّدين، إما محبةً للأهل والوطن، أو خوفاً، أو مداهنةً، أو طمعاً في دنيا، أو عصبية، أو غير ذلك من الأسباب، وكان بعضهم يكاتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب سراً ويقرّ له بصحة الدعوة في الباطن، إلا أنهم في الظاهر مع أهل الشرك، وهؤلاء وإن لم يعبدوا غير الله فإنهم لم يكفروا بالطاغوت، ولم يتبرؤوا من الشرك وأهله، ومنهم من ظاهر المشركين وناصرهم على أهل التوحيد، ومعلوم أن مظاهرة المشركين على الموحّدين ونصرتهم في القتال أبلغ من مجرد إظهار الموافقة لهم بالمقال.

وقد فصّل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ هاتين الطائفتين، وقسّم أعداءه إلى أربعة أنواع على سبيل التفصيل، فقال: (أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرَّ أيضاً أنَّ هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلَّمه، ولا دَخَل فيه، ولا تَرَكَ الشرك، فهو كافرٌ، نقاتله بكفره، لأنه عرف دين الرسول فلم يتَّبعه، وعرفَ الشرك فلم يَتركْه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل

فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾.

النوع الثاني: من عرف ذلك، ولكنه تبيَّن في سبِّ دين الرسول[1]، مع ادعائه أنه عامل به، وتبيَّن في مدح من عَبَدَ يوسف والأشقر، ومن عَبَدَ أبا علي والخضر من أهل الكويت، وفضَّلهم على من وحَّد الله وتَرَكَ الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾.

النوع الثالث: من عَرَف التوحيد وأحبَّه واتَّبعه، وعَرَفَ الشرك وتَرَكَه، ولكن يكره من دَخَل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر، فيه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾.

النوع الرابع: من سَلِمَ من هذا كله، ولكنَّ أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذَّرُ: أن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله، ونفسه، فهذا أيضاً كافرٌ؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان،

(١) أي ظهر منه واستبان سبُّهُ للتوحيد وقدحه فيه.

ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم، فَعَل؛ ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه، ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم، فَعَل؛ وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله: أكبر من ذلك بكثير كثير؛ فهذا أيضاً كافرٌ، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نُكَفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نُكفِّر من لم يُكفِّر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله).

فإذا تبيّن هذا، علمت أن سبب هذه الدعوى هو الجهل بحقيقة التوحيد ولوازمه؛ فحقيقة التوحيد إفراد الله بالعبادة، وترك الأنداد والبراءة منها ومن أهلها، فمن صرف نوعاً أو فرداً من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك، كمن يدعو الأموات ويستغيث بهم، والشرك ضدّ التوحيد، فمن لم يكن موّحداً فهو مشركٌ شاء أم أبى.

وعلى هذا، فالطائفة الأولى لا شك في شركهم وكفرهم، فإنهم وقعوا في الشرك وقاتلوا عليه، مع كون الحجة مقامةً عليهم بالدعوة وانتشارها.

وأما الطائفة الثانيــة فكفارٌ أيضاً، لأنَّ من لــوازم التوحيد محبَّتُه ونصرته ومــوالاة أهله، ولا يكــون العبد موَحِّداً بمجــرد ذلك حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يضادّ التوحيد، وهــو المعبّر عنه بالكفر بالطاغــوت في قولــه تعــالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، فمن لم يتبرأ من الــشرك وأهله ويعتقد بطلانه فليــس بموحِّد، والبراءة من الشرك تســتلزم بغضــه ومعاداة أهله وجهادهم.

قال الإمــام محمد بــن عبد الوهــاب ﷺ: (ومنهــا قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**». وهذا من أعظــم ما يُبيّن معنــى «**لا إله إلا الله**»، فإنه لم يجعــل التلفظ بهــا عاصماً للــدم والمال، بــل ولا معرفة معناها مع لفظها، بــل ولا الإقرار بذلك، بــل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحــده لا شريك له، بــل لا يَحرُم ماله ودمــه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبــد من دون الله؛ فإن شــكَّ أو توقَّــف لم يَحْرُم ماله ودمه)[1].

وقال أيضاً: (أصل الإســلام وقاعدته أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك لــه، والتحريــض على ذلك، والمــوالاة فيه، وتكفير من تركه، والإنــذار عن الشرك في عبادة اللــه، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله)[2].

(١) «كتاب التوحيد» باب «تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله»
(٢) الدرر السنية (١/١٥٣)

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (قد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنَّة على وجوب البراءة من المشركين واعتقاد كفرهم متى علم المؤمن ذلك، واتضح له كفرهم وضلالهم.

كما قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾. أي: لعلهم يرجعون إليها في تكفير المشركين والبراءة منهم، والإيمان بأن الله هو معبودهم الحق سبحانه وتعالى. وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، وهذا هو دين إبراهيم وملة إبراهيم والأنبياء جميعًا؛ البراءة من عابد غير الله، واعتقاد كفرهم وضلالهم حتى يؤمنوا بالله وحده سبحانه وتعالى.

فالواجب على المسلم أن يتبرأ من عابد غير الله، وأن يعتقد كفرهم وضلالهم حتى يؤمنوا بالله وحده سبحانه، كما حكى الله عن إبراهيم والأنبياء جميعًا، وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾.

والكفر بالطاغوت معناه: البراءة من عبادة غير الله واعتقاد بطلانها، وأن الواجب على كل مكلف أن يعبد الله وحده، وأن يؤمن به، وأن يعتقد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام وأشجار وأحجار أو جن أو ملائكة أو غير

ذلك فإنه معبود بالباطل.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، فالمؤمن إذا علم أن فلانًا يعبد غير الله وجب عليه البراءة منه واعتقاد بطلان ما هو عليه، وتكفيره بذلك إذا كان ممن بلغته الحجة، أي كان بين المسلمين، أو علم أنه بلغته الحجة، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾.

فالله أوحى القرآن لنبيه ﷺ وجعله بلاغًا للناس، فمن بلغه القرآن أو السنَّة ولم يَرْجِع عن كفره وضلاله وجب اعتقاد بطلان ما هو عليه وكفره)[1].

والكفر بالطاغوت يستلزم بغضه بالقلب، والكفر به باللسان، ومجاهدته بالجوارح والأركان، ولا يسقط الكفر به باللسان والجوارح إلا عند العجز عن ذلك، فمن قاتل دون الطاغوت بسيفه وسنانه طوعاً واختياراً فَلَمْ يَكْفُر بالطاغوت.

فمن نصَرَ الشركَ وظاهر أهله وعاونهم على قتال الموحِّدين، مع كونهم ساعين في صدّ التوحيد وقتل أهله وطمس أعلامه، وإحياء الشرك ورفع راياته وشعائره، فهو كافرٌ بالكتاب والسنّة والإجماع، سواءٌ ناصرهم محبةً لهم ولدينهم، أو لأجل طمع دنيوي أو عداوة شخصية، وهذا هو الناقض الثامن من نواقض الإسلام التي ذكرها

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز» (٢٢٧/٢٨-٢٣٠)

الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ، حيث قال:

(الناقض الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾)[1].

ولا يُتَصوَّرُ شرعاً ولا عقلاً، أن يكون المظاهر للمشركين في هذه الحال قد قام بما يجب عليه من محبة التوحيد ونصرة أهله الذي هو من لوازم التوحيد وشروطه.

والأدلة على هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنّة والإجماع، ومن ذلك اتفاق الصحابة على تكفير مانعي الزكاة إذا قاتلوا دون دفعها ولو كانوا مقرِّين بوجوبها، كما جرى في عهد أبي بكر ﷺ.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب وهو ينقل عن ابن تيمية ﷺ: (وقال أبو العباس أيضاً - في الكلام على كفر مانعي الزكاة - والصحابة لم يقولوا: أنت مقر بوجوبها، أو جاحد لها، هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة، بل قد قال الصديق لعمر ﷺ: والله لو منعوني عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع، لا جحد الوجوب.

وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب، لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة، وهي قتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم

(١) الدرر السنية (٣٦١/٢)

بالنار، وسموهم جميعهم أهل الردة؛ وكان من أعظم فضائل الصديق ﷺ عندهم: أن ثبته الله عند قتالهم، ولم يتوقف كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله، وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم. انتهى.

فتأمل كلامه في تكفير المعين، والشهادة عليه إذا قُتِل بالنار، وسبى حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسب عنه أعداء الدين، عدم تكفير المعين.

قال ﷺ بعد ذلك: وكفر هؤلاء، وإدخالهم في أهل الردة، قد ثبت باتفاق الصحابة، المستند إلى نصوص الكتاب والسنّة انتهى كلامه.

ومن أعظم ما يحل الإشكال في مسألة التكفير والقتال عمن قصده اتباع الحق: إجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة، وإدخالهم في أهل الردة، وسبي ذراريهم، وفعلها فيهم ما صح عنهم، وهو أول قتال وقع في الإسلام على هذا النوع، أعني المدعين للإسلام، وهي أوضح الوقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا)[1].

وقال ابن تيمية ﷺ: (وإذا كان السلف قد سمَّوْا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله

(١) الدرر السنية (٤١٨/٩)

قاتلاً للمسلمين)[1].

فإذا كان مَنْ مَنَعَ الزكاة مع إقراره بوجوبها لكنه قاتل دون دفعها كافراً بإجماع الصحابة، فكيف بمن أقر بالتوحيد لكنه قاتل دون إقامته، وسعى بسيفه وسنانه مع المشركين لطمس التوحيد وقتل أهله، فهل يبقى معه من الإيمان شيء؟!

ونصوص العلماء كثيرة في كفر من ظاهر المشركين في حربهم على المسلمين وأعانهم حال كونهم قاصدين طمس الإسلام ومعالمه وقتل أهله ونصرة الشرك ورفع راياته.

قال ابن حزم: (من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد، له أحكام المرتد كلها)[2].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (وإنما نُكفِّر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس، أو أقام الشبهة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد وقاتل من أنكرها)[3].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ بعدما ذكر سبب نزول قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية: (فتأمل كيف ترتب عليهم هذا الوعيد وأوجب لهم النار، وقد ورد أنهم مكرهون على تكثير سواد المشركين فقط، فكيف بمن كثَّر سوادهم بغير إكراه

(١) مجموع الفتاوى (٥٣٠/٢٨)
(٢) المحلى (١٢٥/١٢)
(٣) الدرر السنية (١٢٨/١٠)

وأعان وظاهر، وقال وفعل من غير استضعاف، أترى بقي مع هذا شيءٌ من الإيمان والحالة هذه؟!)[1].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن من ظاهر الكفار والمشركين وساعدهم بالسلاح أو بالمال فإنه يكون كافراً مرتداً عن الإسلام، أما من أكره ولم يقاتل، ولم يرضَ بقتال أهل الإسلام، ولم يوافق على ذلك، ولكن أُجبر وأكره بالقوة والرباط والإكراه حتى وصل إلى ساحة القتال ولم يقاتل، فهذا يكون عاصياً بأصل إقامته، ومتوعد على ذلك بالنار لأنه أقام معهم من دون عذر)[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الموالاة أقسام، الموالاة التي هي المناصرة بحيث يناصر الكفار على ما كانوا عليه فهذا مخرج عن الملة، وأما الموالاة التي تكون بسبب الأحلاف والأيمان فلا بأس بها فإن النبي ﷺ عقد الحلف بينه وبين خزاعة، ولما اعتدت قريش على خزاعة جاء النبي عليه الصلاة والسلام -هذا نقضاً للعهد- وألغى الصلح الذي بينه وبين قريش؛ لأنهم اعتدوا على خزاعة الذين هم حلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام، فالموالاة التي تخرج هي أن يوالي الكفار على ما كانوا عليه بحيث يناصرهم ويساعدهم على أي حال كانوا حتى وإن قاتلوا المسلمين فهذا هو الذي يقول الله فيهم:

---

(١) الدرر السنية (٣٣٧/١١)

(٢) فتاوى نور على الدرب (١٢٢/٢٧)

وَمَنۡ يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله-: (من كان يبغض الكفر، ولكن حمله على هذا طمع دنيوي لرئاسة أو مال - مثل ما يحصل من الأعراب والمنافقين، يطمعون في الأموال ويساعدون الكفار ويتوظفون عندهم، أو يصيرون في جندية الكفار الغازين لبلاد المسلمين، من أجل طمع الدنيا، أو من أجل التشفي من المسلمين - فهذا لا شك في كفره ولو كان هو يبغض دين الكفار؛ لأن هذه ردة بالفعل والقول، وبفعله هذا يكون من أشد الناس عداوة لله تعالى؛ لأن من أيّد أعداء الله ونصرهم فهو عدو الله)[2]. وقال في موضع آخر: (من مالأ الكفار على المسلمين، ووعدهم بالنصرة والانضمام إليهم؛ فإنه يرتد عن الإسلام بمجرد الوعود، فكيف بالذي ينفّذ ويفعل ما يقول؟! وهذه الآية يؤخذ منها أن الذين في وقت الشيخ ﷺ هم من هذا النوع والعياذ بالله؛ لأنهم ذهبوا إلى أعداء التوحيد، وتصالحوا معهم على أن يغزوا بلاد المسلمين وأن يساعدوهم، ولم يكتفوا بالقول، بل هم أشد من المنافقين؛ لأنهم نفّذوا وعدهم لأعداء التوحيد، وصاروا يقاتلون معهم، ويحملونهم، ويدلونهم على الطريق، فدل على ردتهم بهذا العمل والعياذ بالله)[3].

(١) لقاء الباب المفتوح رقم ١٢٢
(٢) شرح الدلائل ص٣٦
(٣) شرح الدلائل ص١٦٩

المبحث الثالث

دعوى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد، وأنه خالف المذاهب كلها، وأنه يطعن في الأئمة الأربعة، ويدعي لنفسه مرتبة الاجتهاد المطلق

وهذا أيضاً من البهتان العظيم، فالشيخ ﷺ قد أوضح مراراً وتكراراً أنه متبع لا مبتدع، وأنه لا يخرج عن أقوال الأئمة الأربعة.

من ذلك قوله عن نفسه: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، أخبركم أني ولله الحمد عقيدتي وديني الذي أدين الله به: مذهب أهل السُنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم)[1].

وقال الشيخ عبد اللطيف ﷺ: (وشيخنا ﷺ لم يُخرج في مسألة من الأصول والفروع عما عليه أهل العلم الذين لهم لسان صدقٍ في الأمة، ويُطالب المفتري بتصحيح دعواه في مسألة واحدة من

(١) الدرر السنية (٦٤/١)

مسائل العلم)[1].

وقال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن ﷺ في بيان منهج الشيخ: (ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع أو قول مخترع، فلا يُحدث في الدين ما ليس له أصل يُتبع وما ليس من أقوال أهل العلم)[2].

هذه هي عقيدة الشيخ ﷺ، وهذا هو منهجه الذي نصّ عليه، وذكره عنه أتباعه.

ولم يخرج الشيخ ﷺ عن المذاهب الأربعة، بل كان حنبليًا منتسباً لمذهب الحنابلة، لكنه كان معظمًا للدليل، فقال عن نفسه: (ونحن أيضًا في الفروع على مذهب الإمام أحمد، ولا نُنكر على من قلّد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم؛ لعدم ضبط مذاهب الغير،...

إلى أن قال: ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتابٍ أو سُنةٍ غير منسوخ ولا مُخصص ولا مُعارض بأقوى وقال به أحد الأئمة الأربعة؛ أخذنا به وتركنا المذهب)[3].

وقال أيضًا: (وأما ما ذكرت من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسُّنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة -رحمهم الله تعالى-)[4].

(١) مصباح الظلام ص٤٩٤
(٢) الدرر السنية (٥٢٦/١)
(٣) الدرر السنية (٢٢٧/١)
(٤) الدرر السنية (٩٧/١)

وقد سُئل ﷺ عن مسائل كثيرة فقال فيها: لا أدري، ولا أعلم، وهذا موجود في رسائله ومؤلفاته.

فقد سُئل عن عقد اللحية المذكور في الحديث، فقال: (لا أعلمه)، وسُئل عن قول الحسن في تفسير «**الْجِبْتِ**» بأنه الشيطان، ما معناه؟ فقال: (لا أعرف مقصود الحسن)، وسُئل عن الفرق بين الرَّوح والرحمة؟، فقال: (وأما الفرق فلا أعرفه)[1].

ولا يقول هذا رجلٌ يدّعي لنفسه مرتبة الاجتهاد المطلق، ويزعم أنه قد أوتي من العلم ما لم يؤت غيره، -كما يدعيه أعداؤه- بل لا يقوله إلا من تجرد لله ﷻ وتواضع له، وتحرّى الحق.

(١) الدرر السنية (١٥٢/٢)

المبحث الرابع
دعوى خروجه على الدولة العثمانية

مما افتُري على الشيخ ﷺ: دعوى خروجه على الدولة العثمانية.

وهذه الفرية انتحلها طائفتان:

طائفة تريد التنفير عن الشيخ ﷺ؛ فقالوا: هو خارجي؛ خرج على الدولة العثمانية.

وطائفة على الضدّ من هؤلاء؛ يريدون الخروج والثورة على حكامهم، وينسبون جواز ذلك إلى الشيخ فيزعمون خروجه على الدولة العثمانية ليكون حجة لهم، كما صنعت «**جماعة الإخوان المسلمين**» في الأردن[1].

وكل من له اطلاع على التاريخ وله علمٌ وعناية به يعلم بطلان هذه الدعوى؛ ذلك أنَّ عامة قرى نجدٍ لم تكن خاضعة لسلطة الدولة العثمانية، لا بشكل مباشر ولا بواسطة، والدولة العثمانية لم يكن لها اعتناءٌ بنجد أصلاً ولا بصحرائها، ولم تدخل للدولة العثمانية حامية

(١) وقد ردّ على شبهاتهم في تجويز المظاهرات الدكتور عبد العزيز السعيد في كتاب «النقض على مُجوِّزي المظاهرات» فليراجع.

في نجد، ولم يُعيّن عليهم والٍ قط؛ بل كان على كل قرية من قراها، وعلى كل ناحية من نواحيها أمير، وهذا أمرٌ أشهر من أن يُذكر.

قال الشيخ صالح العبود - حفظه الله-: (لم تشهد نجد على العموم نفوذاً للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطانها، ولا أتى إليها ولاة عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ، ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية، فمن خلال رسالة تركية عنوانها «**قوانين آل عثمان مضامين دفتر الديوان**»، يعني: قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر «**الديوان**» ألفها: يمين علي أفندي، الذي كان أميناً للدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ، الموافقة ١٦٠٩م، من خلال هذه الرسالة يتبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى اثنتين وثلاثين إيالة، منها أربع عشرة إيالة عربية، وبلاد نجد ليست معها ما عدا الإحساء إن اعتبرناه من نجد)[1].

وقال عبد الله العثيمين - حفظه الله-: (ومهما يكن فإن نجداً لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، كما أنها لم تشهد نفوذاً قوياً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت، فلا نفوذ بني جبر، أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى

(١) دعوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٢٣٤

أحدث نوعاً من الاستقرار السياسي، فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حاداً عنيفاً)[1].

وقال جاكلين بيرين - أحد المؤرخين المستشرقين-: (ولكن شبه الجزيرة العربية ظلت ممتنعة عن الفتح التركي بفضل صحرائها التي هلكت فيها عطشًا الجيوش التي وجهها السلطان سليمان - سليمان القانوني- في سنة ألف وخمسمائة وخمسين من الميلاد)[2].

وعلى هذا فلا يصحّ ادعاء دخول نجد تحت ولاية الدولة العثمانية، وكيف يُدّعى ذلك وقرى نجد لم يزل يتولى على كل ناحية منها أمير لا يمتُّ للدولة العثمانية بصلة، لا من جهة تنصيبه، ولا من جهة إقراره والموافقة عليه، بل حتى ولا من جهة إعلامهم به. وقد جرى الحال على ذلك سنين لا حصر لها.

لكن قد يقول قائل: بأنّ الدولة العثمانية قد دخلت نجداً، وهدمت الدرعية، وأسقطت الدولة كما سبق الإشارة إليه، وهذا يجعلها، على الأقل، منذ ذلك الحين تحت الولاية العثمانية.

فالجواب أن يُقال: إنّ الدولة العثمانية جاءت غازية معتدية على دولة التوحيد، ولم يكن الصراع محصوراً في مُلكٍ ونفوذ وهيمنة، بل كان صراعاً دينياً بالدرجة الأولى كما سبقت الإشارة إليه[3]، وعلى هذا فدخولهم إلى نجد هو في حقيقته دخول قوم مشركين على

(١) محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ص١١
(٢) اكتشاف جزيرة العرب ص٢٤
(٣) انظر المطلب الأول من المبحث الثاني "حقيقة العداء بين الدعوة والدولة العثمانية" ص٤٦

بلاد توحيد وسـنّة[1]، وإذا كان كذلك فلا يمكن بحال من الأحوال أن يخضع المسـلمون الموحدون لأهل الـشرك والضلالة مع توفر القدرة والقوة لديهـم، بل يجـب دفعهم وإخراجهـم وتطهير بلاد المسلمين منهم، وطمس مظاهر الشرك وأعلامه التي أقاموها، وهذا عين ما قاموا به، حتى مكّنهم الله في البلاد، فأخرجوا القوات الغازية المعتدية، وأعلوا منـارات التوحيد، وطمسـوا معـالم الشرك التي أظهرها الغزاة، والحمد لله أولاً وأخيراً.

قال الشـيخ صالح الفوزان - حفظه الله-: (فإنّ الدولة السعودية دولة مسـتقلة ليس للترك عليهم سلطان مِنْ قَبْل كسـائر بلاد نجد، وإنما غزا الترك بـلاد نجد لإزالـة التوحيد وإعـادة القبورية؛ فكان غزوهم اعتداء على دولة مستقلة ذات سـيادة مخالفاً للشرع والنُّظم الدولية، أضف إلى ذلك أنّ هذا الغزو الآثم يُـراد به اجتثاث عقيدة التوحيد ومناصرة القبورية.)[2].

(١) انظر كلام المؤرخ المصري الجبرتي في وصف حال القوات العثمانية والمصرية وقوله "أكثرهم كان على غير الملة" ص٤٧

(٢) «شرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» ص١٥

المبحث الخامس

شبهة انتقاد الصنعاني والشوكاني وصديق حسن خان والألوسي للدعوة والدولة

المطلب الأول

ما ورد من نقد بعض أهل العلم للدعوة لا يخرج عن أحد أسباب أربعة

إنّ المتأمل في نقد بعض علماء السـّنة كالشـوكاني والصنعاني والألوسي وغيرهم للدعوة أو الدولة يجد أنه لا يخرج عن أحد هذه الأسباب الأربعة:

الأول: أخبارٌ لا تثبت؛ منها حكايات منقولة عن مجاهيل، ومنها أخبار مكذوبة مختلقة من بعض خصوم الدعوة الذين لم يألوا جهداً في التنفير عنها بالكذب والبهتان.

الثاني: كتـبٌ ورسـائل مـزورة عـلى إمـام الدعـوة وغيره، تخالف صراحـة المنصوص عنهـم والمثبت في رسـائلهم وكتبهم الثابتة المشهورة.

الثالث: أخطاءٌ من بعض الجهلة المنتسبين للدعوة، وهي لا تخرج عن كونها وقائع أحوال فردية لا يجوز تعميمها.

الرابع: أخطاء عقدية من المنتقِد، مثل اعتقاد الشوكاني بأن المستغيث بالميّت لا يَكفُر إلا إذا اعتقد فيه التأثير، فانتقد الدعوة على تكفير المستغيث بالأموات بمجرد الاستغاثة!

فإذا تبيّن هذا، فجميع ما وقع من النقد من بعض العلماء لم يستند إلى أصل شرعي صحيح، ولم يكن عن معاينة ومشاهدة.

وإليك بعض ما جاء من النقد على وجه التفصيل:

المطلب الثاني

نقد الشوكاني

قال الشوكاني في نقد الدولة: (ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد، وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام، ولقد أخبرني أمير حجاج اليمن السيد محمد بن حسين المراجل الكبسي أن جماعة منهم خاطبوه هو ومن معه من حجاج اليمن بأنهم كفار، وأنهم غير معذورين عن الوصول إلى صاحب نجد لينظر في إسلامهم، فما تخلصوا منه إلا بجهد جهيد)[1].

وهذا كلام مرسل لا يمكن أن يكون مستنداً لكي توصف الدولة به ويُنسب إليها منهجاً فضلاً عن أن توصف به الدعوة، وقد يكون

(١) البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٥/٢)

هؤلاء المذكورون من الجهال ممن لا يجوز نسبة فعلهم إلى الدولة، ولا اعتبار فعلهم جزءاً من عقيدتها ومنهجها حتى يصح نقدها به.

وقال الشـــوكاني: (ومن جملة مـــا يبلغنا عن صاحـــب نجد أنه يستحل ســـفك دم من لم يحضر الصلاة في جماعة، وهذا إن صح غير مناسب لقانون الشرع...،

إلى أن قال: وتبلغ أمـــور غير هذه الله أعلـــم بصحتها، وبعض الناس يزعم أنـــه يعتقد اعتقاد الخـــوارج وما أظن ذلـــك صحيحاً، فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بمـــا تعلموه من محمد بن عبد الوهاب، وكان حنبلياً ثم طلـــب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد إلى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما، وهما من أشـــد النـــاس على معتقدي الأموات، وقد رأيت كتاباً من صاحب نجـــد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب به على بعض أهل العلم، وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقده، فرأيت جوابه مشـــتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والســـنّة، فالله أعلم بحقيقة الحال، وأما أهل مكـــة فصاروا يكفرونه ويطلقون عليه اســـم الكافر، وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مســـائل تدل على ثبات قدمه وقدمِ صاحبه في الدين)[1].

وهذا ظاهرٌ في أن مستند نقده أخبارٌ منقولة لا يجزم بصحتها، بل

(١) البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٦/٢)

جزم بصحة ما وقف عليه من نصوص كلامهم ورسائلهم وصوّبه.

وكان بعض ما انتقده الشوكاني مبني على خطأه في بعض مسائل التوحيد.

فمن ذلك قوله: (وتبلغنا عنه أخبار الله أعلم بصحتها؛ من ذلك أنه يستحل دم من استغاث بغير الله من نبي أو ولي وغير ذلك، ولا ريب أن ذلك إذا كان عن اعتقاد تأثير المستغاث كتأثير الله كفرٌ يصير به صاحبه مرتداً، كما يقع في كثير من هؤلاء المعتقدين للأموات الذين يسألونهم قضاء حوائجهم ويعولون عليه زيادة على تعويلهم على الله سبحانه، ولا ينادون الله ﷻ إلا مقترناً بأسمائهم، ويخصونهم بالنداء منفردين عن الرب، فهذا أمر الكفر الذى لا شك فيه ولا شبهة، وصاحبه إذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين)[1].

وهذا من جملة أخطائه التي انتُقد عليها، فإن دعاء الموتى والغائبين شركٌ بالله ولو لم يُعتقد فيهم التأثير، وهو شركُ قريش والعرب.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾

وقال تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾

(١) البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٦/٢)

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾

فالمشركون لم يعتقدوا في معبوداتهم التأثير، بل كانوا يعبدونهم طلباً للشفاعة والقربى، وقد أفاض أئمة الدعوة في شرح هذه المسألة، كما أفاض في بيانها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

على أنَّ الشوكاني قد ثبت عنه نظم قصيدة في رثاء الإمام محمد بن عبد الوهاب يثني فيها على دعوته[1]، يقول في مطلعها:

مصابٌ دهي قلبي فأذكى غلائلي
وأحمي بسهم الإفتجاع مقاتلي

وفيها:

فما هو إلا قائم في زمانه
مقام نبيٍّ في إماتةِ باطل

المطلب الثالث

نقد محمد صديق حسن خان

وقد تابع الشوكاني على نقده للدولة محمد صديق حسن خان، فإنه كان متأثراً بالشوكاني، وقد نقل كلام الشوكاني الذي سبق ذكره من «**البدر الطالع**» وساقه بتمامه في كتابه «**التاج المكلَّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**»[2].

(١) مجلة الإصلاح، السنة الثانية، محرم ١٣٤٩هـ.
(٢) ص٣٢٤

لكن ثبت عــن محمد صديق حســن خان مــدح الإمام محمد ابن عبــد الوهــاب والدعــوة بعدما اتضحــت له الأمــور، ووقف على حقائقها.

فقال في كتاب «**إتحاف النبلاء المتقين بمآثر الفقهاء والمحدثين**»: (كثير من العلــماء يُكفِّرون ويضللون محمد بــن عبد الوهاب لعدم معرفتهم بأخباره الصحيحة، أو بســبب التعصــب والهوى، والواقع أنه لا دليل عندهم من الكتاب والسنة على تكفير الشيخ وتضليله).

وذكر بعض الافتراءات على الإمام محمــد بن عبد الوهاب ﵀ ثم قال: (هذه بعض الافــتراءات التي ألصقها ابن عابدين بالشــيخ محمد بن عبدالوهاب،...)

وردَّ عليها ثم قال: (فظهر مما ذكرنا بطلان ما نســبه ابن عابدين إلى الشــيخ من أنه كان يعتبر من عداه من الناس مشركين، ويحصر الإسلام في مذهبه)[1].

وعلى كل حال، فإن النقد لم يســتند إلى حجة مقبولة، ولا إلى بينة عادلة، ولا خبرٍ صحيح.

المطلب الرابع

نقد محمود شكري الألوسي

وممن انتقد الدولة محمود شــكري الألــوسي ﵀، حيث قال:

(١) «إتحاف النبلاء المتقين بمآثر الفقهاء والمحدثين» ص٤١٣ وما بعدها

(ثم خلف عبد العزيز سعوداً، وهو أيضاً قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب، وأذعنت له صناديد العرب، وذلّت له رؤساؤهم، بيْد أنه منع الناس من الحج، وخرج على السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم، وشدّد في بعض الأحكام، وحملوا - أي النجديون- أكثر الأمور على ظواهرها)[1].

وهذا كلام مرسل لم يستند إلى بينة معتبرة، ولذلك علّق عليه تلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار ﷺ منتقداً فقال: (الغلو أو التعصب الذي التزمه بعض عامة نجد في بعض الأعمال هو مما لا يسلم من مثله خواص الناس في كل عصر ومصرٍ أبداً

يقولون في هذي البلاد تعصب وأي بلاد ليس فيها تعصب؟!

ولكن علماءهم لا يسكتون لهم على منكر ارتكبوه، وحاشا لله أن يكون علماء نجد الأعلام غلاة متشددين، يلتزمون العزائم واجتناب الرخص، ولا يفقهون أسرار التشريع.

ولو أتيح للأستاذ - أي: الألوسي- ﷺ إعادة النظر في الكتاب لحذف هذه العبارة التي جرى بها قلمه على خلاف ما يعتقده في النجديين ومعتقداتهم السلفية التي لم يحولوا فيها عن هدي الرسول الأعظم ﷺ قيد شعرة كما حققنا ذلك من كتبهم، وبلغنا من ثقات الرواة)[2].

(١) «تاريخ نجد» ص٩٨
(٢) «تاريخ نجد» للألوسي، حاشية ص٩٩

المطلب الخامس

نقد الدعوة بتراجع الصنعاني عن مدح الإمام

وممن نُقل عنه انتقاد الدعوة والإمام محمد بن عبد الوهاب بالخصوص: الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، ومعلوم أنه كان مناصراً للدعوة في أولها، وشهد لها، وكتب أبياتاً في الثناء عليها، يقول فيها:

سلامي على نجد ومن حل في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
وقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله
بلا صدَرٍ في الحق منهم ولا ورَد

إلى أن قال رحمه الله:

وقـــد جـــاءت الأخبـــار عـــنه بأنـــه
يـعـيـد لـنـا الـــشرع الـشـــريـف بمـا يـبـــدي
وينـــشر جهـــراً مـــا طـــوى كل جاهـــل
ومـــبـــتـــدع مـــنـــه فـــــوافـــــق مـــا عـــنـدي
ويـــعمر أركان الشـــريعة هـادمـــاً
مـشـــاهـــد ضـل الـنـــاس فـيـهـا عـــن الـرشـد
أعـــادوا بهـــا معنـــى ســـواع ومثلـــه
يـــغـــوث وود بـئـــس ذلـــك مـــن ود

ثـــم نُقل عنـــه تراجعه عـــن ذلـــك، ونقـــدُه للإمـــام محمد بن عبد الوهاب، بسبب ما افتراه أحد أعداء الدعوة ممن فرّ من نجد إلى اليمن، وهو مربد بن أحمد الوهيبي من أهل حريملاء[1]، حيث أخذ يشوه الدعوة، وينشر الأكاذيب حولها، فصدّقه الصنعاني، حيث قال:

(وكان قد تقدمه - أي مربد- في الوصول إلينا الشيخ عبد الرحمن النجدي، ووصف مـــن حال محمد بن عبد الوهاب أشـــياء أنكرناها من ســـفكه الدماء، ونهبه الأموال، وتجاريه على قتـــل النفوس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار.

فبقينا نتردد فيما نقله الشـــيخ عبد الرحمن، حتى وصل الشـــيخ مربد، وله نباهة، وأوصل بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤١٦/٦)، قال البسام: (هذا الرجل وأمثاله ممن عادوا الدعوة الإصلاحية، وهم الذين شوهوا سمعتها، وألصقوا بها الأكاذيب، وزوروا عليها الدعايات الباطلة).

في وجه تكفيره أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم، وحقق لنا أحواله وأقواله وأفعاله)[1].

ثم كتب أبياتاً يُعلن فيها تراجعه، يقول فيها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي
فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي
ظننت به خيراً وقلت عسى عسى
نجد ناصحاً يهدي الأنام ويستهدي
فقد خاب فيه الظن لا خاب نصحنا
وما كل ظن للحقائق لي مهدي
وقد جاءنا من أرضه الشيخ مربد
فحقق من أحواله كل ما يبدي
وقد جاء من تأليفه برسائل
يكفر أهل الأرض على عمد

وهذا التراجع قد أنكره بعض العلماء والمختصين، منهم الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ حيث كتب رسالة بعنوان «**تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين**» ينفي فيها نسبة القصيدة للصنعاني، وذكر القرائن الدالة على ذلك، كما أثبتها آخرون.

وليس المقصود البحث في ثبوتها من عدمه، وإنما المقصود بيان أنها لا تضر الدعوة على فرض ثبوتها، بل تؤكد أن ما أثير حول

(١) مقدمة «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» ص٢٥-٢٦

الدعوة من منكـرات ومخالفات لا يعدو كونـه أكاذيب واختلاقات اختلقها أهل الإفك والبهتان، وبسـببه وقع النقد من بعض العلماء، وقد ذكر الصنعـاني ذلـك، وفي قصيـدة التراجع المنسـوبة إلى الصنعـاني دلالة أيضاً عـلى ذلك، فـإن فيها أن تراجعـه عن مدح الإمام محمد بن عبد الوهاب كان بسـبب ما نقله له مربد التميمي، حيث قال:

وقـد جاءنـا مـن أرضـه الشـيخ مربـد
فـحـقـق مـن أحـوالـه كـل مـا يـبـدي

ومربدٌ كان معادياً للدعوة وللإمام محمد بن عبد الوهاب، حتى فرّ من نجد كراهية لها. فإذا كان هذا هو مستند التراجع والنقد، بطل من أصله.

وفي الأبيات أنّه وقف على رسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب يُكفّر فيها أهـل الأرض عمـداً، وكل من اطّلع على رسـائل الإمام محمد بن عبد الوهاب يعلم قطعاً كذب هذه الدعوى، وأنها محض افتراء، فإن الشيخ ﷺ لا يُكفّر إلا من أجمع المسلمون على تكفيره، فلم يحكم قط بكفر أهل بلد من البلاد الإسـلامية فضلاً عن تكفير أهل الأرض كلهم.

وقـد سـبق عـن الإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب أنـه نفـى عـن نفسـه التكفـير بالعمـوم، حيـث قـال: (وأمـا الكـذب والبهتـان فمثـل قولهـم: إنـا نكفـر بالعمـوم، ونوجـب الهجـرة

إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفّر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا؟!، أو لم يُكفِّر ويقاتل؟! سبحانك هذا بهتان عظيم)[1].

وهذا يدل دلالة ظاهرة على أن الذي وقع بيد الصنعاني رسائل مختلقة على الإمام محمد بن عبد الوهاب.

قال الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ: (وقال - أي: الإمام محمد بن عبد الوهاب- في رسالته إلى السويدي البغدادي: «**وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة فيا عجباً! كيف يدخل هذا في عقل عاقل، وهل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ -إلى أن قال - وأما التكفير فأنا أكفِّر من عرف دين الرسل ثم بعد ما عرفه سبَّه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفِّره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك**» انتهى.

فإذا علمت هذا وتحققته فقول هذا المعترض في ديباحة شرحه أنه قدم إليه عبد الرحمن النجدي برسائل جمعها ابن عبد الوهاب

(١) الدرر السنية (١/١٠٣-١٠٤)

في وجه تكفير أهل الايمان وقتلهم ونهبهم، وقوله في النظم:

وقد جاء من تأليفه برسائل
يُكفّر أهل الأرض فيها على عمد

علمت أن هذا كذب وبهتان وزور يريدون به الصد عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

ومما يؤكد ذلك أن للصنعاني رسالة في التوحيد بعنوان «**تطهير الاعتقاد**» يُقرر فيها التوحيد كما يقرره الإمام محمد ابن عبد الوهاب، بل مذهب الصنعاني فيها أشد منه، فإنه يرى الواقعين في الشرك ممن ينتسبون إلى الإسلام كفاراً أصليين، ولا يعذرهم بالجهل، وهذا مما لا يقول به الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولذلك قال الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن في رده على عثمان بن منصور على نفس الفرية:

(وأما قوله: «**وجعل بلاد المسلمين كفاراً أصليين**»، فهذا كذب وبهت، ما صدر وما قيل، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلاً عن أهل العلم والدين؛ بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الإسلام في كل زمان ومكان.

وإنما تكلَّم الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون

(١) «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» ص١٠٠

الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أنداداً لله ربِّ العالمين، أو يسندون إليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم: أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردَّة ولم يجعلوه كافراً أصليّاً، وما رأيت ذلك لأحد سوى محمد ابن إسماعيل في رسالته تجريد التوحيد المسمى بـ«**تطهير الاعتقاد**»، وعلَّل هذا القول: بأنهم لم يعرفوا ما دلَّت عليه كلمة الإخلاص، فلم يدخلوا بها في الإسلام مع عدم العلم بمدلولها، وشيخنا لا يوافقه على ذلك.

ولكن هذا المعترض لا يتحاشى من الكذب ولو كان من الميتة والموقوذة والمتردية، وما رأيت شيخ الإسلام أطلق على بلد من بلاد المنتسبين إلى الإسلام أنها بلد كفر)[1].

هذا ما أردت جمعه على شيء من الاختصار غير المخل، والله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة كاتبها وقارئها وناشرها، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

(١) مصباح الظلام ص٥٢-٥٣

المحتوى

المقدمة ٧

مقدمة تمهيدية ١٠

مطلب: القراءة في كتب أئمة الدعوة السلفية النجدية تحتاج لأمور أربعة .. ١٥

الأمر الأول: معرفة تاريخ الدعوة والأحداث التي جرت في وقتها ١٥

الأمر الثاني: معرفة تراجم أئمة الدعوة ١٧

الأمر الثالث: معرفة خصوم الدعوة ١٧

الأمر الرابع: الإلمام بكتب أئمة الدعوة ١٨

الفصل الأول

تاريخ الدعوة النجدية وترجمة إمام الدعوة

تمهيد ٢١

المبحث الأول : المصادر الأصلية لتاريخ الدعوة النجدية ٢١

كتاب«تاريخ نجد» لحسين بن غنام الإحسائي ٢٢

كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر النجدي ٢٣

ما كتبه أئمة الدعوة ٢٤

كتاب «تاريخ المملكة العربية السعودية» لعبد الله العثيمين ٢٤

مطلب: مراحل تاريخ الدعوة النجدية ٢٥

المبحث الثاني : تاريخ الدعــوة إلى وفاة الإمام محمد بــن عبد الوهاب وترجمة موجزة له ٢٦

المطلب الأول: أقسام الناس تجاه دعوة الشيخ ﷺ ٤٠
الطائفة الأولى: الجهال الخرافيون من عوام الناس ٤٠
الطائفة الثانية: طائفة تنتسب للعلم..... ٤١
الطائفة الثالثة: طائفة عادت الشيخ باسم السياسة ٤١
المطلب الثاني: العلماء في عهد الشيخ وأسباب عدم انتشار دعوتهم ٤٢
السبب الأول: عدم تيسر الناصر ٤٢
السبب الثاني: قلة صبر بعضهم..... ٤٣
السبب الثالث: قلة علوم بعضهم ٤٣
المبحث الثالث : تاريخ الدعوة ما بعد وفاة إمام الدعوة..... ٤٤
المطلب الأول: حقيقة العداء بين الدعوة والدولة العثمانية ٤٦
المطلب الثاني: حركة «الإخوان» وموقف الدولة السعودية منها ٥٤
المطلب الثالث: خصوم الدعوة النجدية الإصلاحية والدولة السعودية..... ٥٨

الفصل الثاني

الدروس والعبر المستفادة من تاريخ الدعوة النجدية الإصلاحية

تمهيد ٦٣
الدرس الأول : دعوة الشيخ ﷺ مثالٌ حيٌّ قريبٌ وتطبيقٌ عمليٌّ للدعوة السلفية ٦٣
مطلب: امتازت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بأمور ٦٥
أولا: اعتناؤها بأصل الأصول..... ٦٥
الأمر الثاني: عنايتها بالدليل من الكتاب والسنّة والإجماع ٦٥

الأمر الثالث: وضوح القصد وظهور العبارة وملائمة ذلك لحال المُخاطَب ٦٥
الأمر الرابع: جريانها على مقتضى الأصول الشرعية ٦٦
الأمر الخامس: عموم الدعوة على ما دل عليه حديث «**الدين النصيحة**» ..٦٦
الأمر السادس: وجود السيف الناصر من الأمراء ٦٦
الدرس الثاني: أثر نشر العلم في النهوض بالأمة، ومعرفة منزلة العالم فيها .٦٧
الدرس الثالث: أهمية إصلاح العقائد، والبدء بما بدأ به الأنبياء من تصحيح التوحيد والعقيدة ٧١
الدرس الرابع: أهمية الصبر في العلم والدعوة إليه في تحقيق المقاصد والظَّفر بالمطلوب ٧٣
الدرس الخامس: تهيئة أسباب التمكّن والنصر والتأييد بما ليس في حسبان الدعاة.....٧٤
الدرس السادس: معرفة أثر الدين في ثبات الدول وما يَعْقُبه من البركة في الذرية.....٧٦
الدرس السابع: حاجة الدعوة إلى سيف السلطان وأثر ذلك على الأمة جميعاً ٧٨
الدرس الثامن: ثمرة الاجتماع ولزوم الجماعة ومجانبة الفرقة في قيام الدولة ونصرة الدين ٧٩
الدرس التاسع: آثار الدعوة العلمية على الأمة، ولو فُقد مشايخها.....٨١
الدرس العاشر: معرفة فضل الدولة السعودية على الأمة الإسلامية كلها ٨٣

الفصل الثالث

علماء الدعوة النجدية وخصومها

تمهيد ٨٧

المبحث الأول : أبرز علماء الدعوة النجدية ٨٧

المطلب الأول: أبرز علماء الدعوة في الدولة السعودية الأولى ٨٧

عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٨٨

حمد بن ناصر بن معمر ٨٨

سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٨٩

المطلب الثاني: أبرز علماء الدعوة في الدولة السعودية الثانية ٩٠

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ٩٠

عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ٩١

عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ٩٢

حمد بن عتيق ٩٢

إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ٩٣

المطلب الثالث: أبرز علماء الدعوة في الدولة السعودية الثالثة ٩٤

عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ٩٤

سليمان بن سحمان ٩٤

سعد بن حمد بن عتيق ٩٥

محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ٩٦

المبحث الثاني: أبرز خصوم الدعوة ٩٨

المطلب الأول: أبرز خصوم الدعوة في الدولة السعودية الأولى..... ٩٩
عبد الله بن أحمد بن سحيم..... ٩٩
سليمان بن سحيم ٩٩
عبد الله بن عيسى المويس..... ٩٩
سليمان بن عبد الوهاب..... ١٠٠
محمد بن عبد الرحمن بن عفالق ١٠٠
محمد بن فيروز ١٠١
المطلب الثاني: أبرز خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثانية ١٠٢
محمد بن علي بن سلوم ١٠٢
عثمان بن سند البصري ١٠٢
عثمان بن منصور..... ١٠٢
أحمد بن زيني دحلان ١٠٣
داود بن جرجيس البغدادي..... ١٠٤
المطلب الثالث: أبرز خصوم الدعوة في الدولة السعودية الثالثة..... ١٠٦
يوسف النبهاني ١٠٦
يوسف الدجوي..... ١٠٦
حسين حلمي بن سعيد ايشيق صاحب مكتبة «الحقيقة»..... ١٠٧

الفصل الرابع

التعريف بكتب أئمة الدعوة وخصائصها

تمهيد ١١١

المبحث الأول: خصائص كتب أئمة الدعوة ومميزاتها ١١١
الأمر الأول: أنها من أنفس الكتب في تقرير التوحيد وبيان الشرك..... **١١١**
الأمر الثاني: كتب أئمة الدعوة تجيب عن الشبهات حول الشرك ووسائله **١١٢**
الأمر الثالث: كتب أئمة الدعوة قائمة على الاتباع لا الابتداع والتمذهب **١١٣**
الأمر الرابع: أنها كتبٌ يستفيد منها طالب العلم كيفية معالجة الواقع **١١٤**
الأمر الخامس: أنها كتب عكف على دراستها العلماء الجهابذة **١١٤**
الأمر السادس: أنها تُفسر بعض الإجمالات في كلام الأئمة **١١٦**
الأمر السابع: كتب أئمة الدعوة كتبٌ تاريخية حافلة بالأخبار والوقائع .. **١١٩**
الأمر الثامن: الدعوة النجدية تُمثّل تطبيقياً واقعياً للطريقة السلفية في الإصلاح وكتبهم موضّحة لهذه الطريقة **١٢١**
الأمر التاسع: كتب أئمة الدعوة كتب علماء عاملين ومجاهدين **١٢٣**
الأمر العاشر: أنها كتب تربية على العلم والإيمان واليقين..... **١٢٤**
المبحث الثاني: التعريف بكتب أئمة الدعوة ١٢٥
القسم الأول: كتبٌ مفردة مستقلة **١٢٥**
القسم الثاني: مجاميع تحوي رسائل كثيرة **١٢٦**
«تاريخ نجد» لحسين بن غنام..... **١٢٦**
«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» أوسع وأول مجموعة..... **١٢٧**
موقف رشيد رضا من الدعوة النجدية **١٢٧**
«مجموعة التوحيد» **١٢٨**
موسوعة «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»..... **١٢٩**

مجموعة «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» ١٣١
«مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب» ١٣١
مجموعة «فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ» ١٣٢
مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ ١٣٢

الفصل الخامس

الجواب على أشهر الشبهات التي أثيرت حول الدعوة

تمهيد ١٣٧
المبحث الأول: أربع طوائف تعمدت تشويه صورة الدعوة وإمامها ١٣٧
الطائفة الأولى: أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين ١٣٧
الطائفة الثانية: أهل البدع والضلالات ١٣٨
الطائفة الثالثة: جهالٌ أغمار أتباع كل ناعق ١٣٨
الطائفة الرابعة: طائفة شوهت صورة الشيخ ﷺ والدعوة والدولة لعداءٍ شخصيٍ للدولة السعودية ١٣٩
المبحث الثاني: شبهة تكفير المسلمين واستحلال دمائهم والجواب عليها ١٤٠
المطلب الأول: سبب هذه التهمة يعود إلى أمرين ١٤٢
لا يُنسب إلى الدعوة وأئمتها أخطاء بعض المنتسبين إليها ١٣٨
من الإفك والبهتان نسبة الغلوِّ والتطرّف إلى الدعوة السلفية لمجرد خطأ بعض التنظيمات المتطرّفة في فهم بعض عبارات أئمة الدعوة وهو أمر لم يزل يقع ١٤٤

المطلب الثاني: اتهام الدعوة بالغلو من بعض الدعاة بسبب التكفير بمظاهرة المشركين ١٤٩
خصوم الدعوة الذين وصفهم أئمة الدعوة بالشرك والكفر طائفتان ١٥٠
المبحث الثالث : دعوى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد، وأنه خالف المذاهب كلها، وأن يطعن في الأئمة الأربعة، وأنه يدعي لنفسه مرتبة الاجتهاد المطلق ١٦٠
المبحث الرابع: دعوى خروجه على الدولة العثمانية ١٦٤
المبحث الخامس: شبهة انتقاد الصنعاني والشوكاني وصديق حسن خان والألوسي للدعوة والدولة ١٦٨
المطلب الأول: ما ورد من نقد بعض أهل العلم للدعوة لا يخرج عن أحد أسباب أربعة ١٦٨
المطلب الثاني: نقد الشوكاني ١٦٩
المطلب الثالث: نقد محمد صديق حسن خان ١٧٢
المطلب الرابع: نقد محمود شكري الألوسي ١٧٣
المطلب الخامس: نقد الدعوة بتراجع الصنعاني عن مدح الإمام ١٧٤
المحتوى ١٨٢

طبع بواسطة

لدعم المشروع
والتواصل عبر الواتساب
(965) 96669705

تواصل معنا عبر تويتر
@SalfiBooks

من إصدارات المشروع